قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الأول الجزء (٣)

كفوا عنه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى بدا له الطوى ، فكبَّر (١) . فعرفت قريش أنه
د صُدق وأدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها
حقًّا ، فأشركنا معك فيها .

قال : ما أنا بفاعل ، وإن هذا لأمر قد خُصصتُ به دونكم ، وأُعطيته من
بينكم ، قالوا : فأنصفنا ، فإنَّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني
بينكم من شئتم أخاصمكم إليه ، فقالوا : كاهنة بنى سعد بن هُذَيم ، قال : نعم ،
كانت بأشراف الشام (٢) .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونسُ عن ابن إسحاق قال : حدثنى
يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زُرَير الغَافقى
قال : سمعت على بن أبى طالب ، وهو يحدِّث حديث زمزم فقال : بينا عبد المطلب
نائم فى الحجر ، أُتى ، فقيل له : احفر بَرَّة ، فقال : وما بَرَّة ؟ ثم ذهب عنه ،
حتى إذا كان الغد نام فى مضجعه ذلك ، فأُتى ، فقيل له : احفر المضنونة ، فقال :
ما المضنونة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغد عاد فنام فى مضجعه ، فأتى ،
قيل له : احفر طيبة ، فقال : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد عاد
ضجعه فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، فقال : وما زمزم ؟ فقال : لا تنزف
لا تذف ، ثم نعت له موضعها (٣) .

[stamp]

* * *

* قريش تُنازع عبد المطلب زمزم :

... ction of the Alexandria Library (GOAL

فقام فحفر حيث نُعت له ، فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب ؟ فقال :
أمرتُ بحفر زمزم ، فلما كشف عنه ، وأبصروا الطوى ، قالوا : يا عبد المطلب إن
لنا لحقًّا فيها ، إنها لبئر أبينا إسماعيل ، فقال : ما هى لكم ، لقد خُصصت بها

(١) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فلما بُين له شأنها ودُل على موضعها
عرف أنه قد صُدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره
حفر فيها ، فلما بدا لعبد المطلب الطى كبَّر انتهى كلام ابن إسحاق . وتكبير عبد المطلب دليل
على فطرته السليمة الخالصة .

(٢) أى على حدود ومشارف الشام .

(٣) أى وصف له مكانها .

دونكم ، قالوا : فحاكمنا ، فقال : نعم ، فقالوا : بيننا وبينك كاهنة بنى سعد بن هُذيم ، وكانت بأشراف الشام ·

* التحاكم فى بئر زمزم :

فركب عبد المطلب فى نفر من بنى أبية ، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر ، وكانت الأرض إذ ذاك مفاوز فيما بين الشام ، والحجاز ، حتى إذا كانوا بمفارة من تلك البلاد ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا الهلكة ، فاستسقوا القوم ، قالوا ما نستطيع أن نسقيكم ، وإنَّا لنخاف مثل الذى أصابكم ، فقال عبد المطلب لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلاَّ تَبع لرأيك ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بما بقى من قوته ، فكلما مات رجل منكم ، دفعه أصحابه فى حفرته ، حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه ، فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم ، ففعلوا ·

ثم قال : والله إن لقاءنا بأيدينا للموت ، لا نضرب فى الأرض ونبتغى ، عجز · فقال لأصحابه : ارتحلوا ، فارتحلوا ، وارتحل ، فلما جلس على ناقته ، وانبعثت به ، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب ، فأناخ وأناخ أصحابه ، فشربوا ، واستقوا وسقوا ، ثم دعوا أصحابهم : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله عز وجل ، فجاؤوا فاستقوا وسقوا ، ثم قالوا : يا عبد المطلب ، قد والله قُضى لك ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، لهو الذى سقاك زمزم ، انطلق ، فهى لك ، فما نحن بمخاصميك (١) ·

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يونُس بن بُكير عن ابن إسحاق ، قال : فانصرفوا ومضى عبد المطلب فحفر ، فلما تمادى به الحفر ، وجد غَزالين من ذهب ،

---

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال فى هذا الموضع ، فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب ﷺ فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الرَّوىِّ غير الكدر   يسقى حجيج الله فى كل مبر
ليس يخاف منه شىء ما عَمَر

وهما الغزالان اللذان كانت جُرهم دفنت فيها حين أُخرجت من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم ، التى سقاه الله عز وجل حين ظمىء ، وهو صغير (١) .

حدثنا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مُجاهد ، قال : مازلنا نسمع أن زمزم همزة جبريل بعقبه لإسماعيل حين ظمىء (٢) .

حدثنا أحمد : نا يونُس ، عن سعيد بن مَيْسَرة البكرى ، قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : لما طردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة ، ووضعها إبراهيم بمكة ، عطشت هاجر ، فنزل عليها جبريل ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : هذا ولد إبراهيم ، فقال : أعطشانة أنت ؟ قالت : نعم ، فبحث بجناحه الأرض ، فخرج الماء ، فأكبت عليه هاجر تشربه ، فلولا ذلك لكانت أنهاراً جارية .

أنا (٣) أحمد : حدثنا يُونُس ، عن ابن إسحاق ، قال : فلما حفر عبد المطلب زمزم ، ودله الله عز وجل عليها ، وخصه بها ، زاده الله عز وجل شرفًا وخطراً فى قومه ، وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت ، فأقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها ، لمكانها من البيت ، وأنها سُقيا الله عز وجل إسماعيل .

* فضل زمزم على سائر المياه :

حدثنا أحمد ، قال : ثنا يُونس عن طلحة بن يحيى ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ماء زمزم طعام طعُم وشِفاء سُقم (٤) .

---

(١) ذكر البرقى عن ابن عباس أنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالاً ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء ، وقيل الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع .

(٢) وذلك أن جرهم كانت تتولى أمر الزعامة فى مكة وولاية البيت فجاءت قبيلة خزاعة وقاتلت قبيلة جرهم حتى أخرجتها من مكة وصارت الزعامة لها حتى جاء قصى بنى كلاب فقاتل خزاعة قتالا شديداً وأخرجهم من مكة وولى أمر مكة والبيت وصارت الزعامة لقريش .

(٣) من رموز الحديث بمعنى أخبرنا .

(٤) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فعفت (أى غطت على غيرها) زمزم على البئار التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . قال الشاعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : =

* ما وجده عبد المطلب فى بئر زمزم :

حدثنا أحمد قال : ثنا يونُس ، عن ابن إسحاق قال : ووجد عبد المطلب أسيافًا مع الغزالين (١) ، فقالت قريش : لنا معك يا عبد المطلب فى هذا شـرك وحق ، فقال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر نصف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح (٢) ، فقالوا : فكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولكم قدحين ، ولى قدحين ، فمن خرج له شىء كان له ، فقالوا : قد أنصفت ، وقد رضينا ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوها الذى يضرب بالقداح ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُم أنتَ المَلكُ المحمودُ ربِّى وأَنتَ المُبـدئ المعيدُ
وَمُمْسكُ الراسية الجَلمُودُ مِنْ عِندك الطَـارف والتَّليدُ
إنْ شئتَ ألهمتَ مَا تُريدُ لِموضِع الحِلْيَة والحَـديد
فَبيِّن اليـومَ لِمَـا تُريدُ إنى نَذرتُ عَاهد العُهـود
أجعله ربِّى فَلا أَعودُ

وضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، فضربهما عبد المطلب فى باب الكعبة ، فكانا أول ذَهب حُلِيَتْهُ ، وخرج الأسودان على السيوف والأدراع لعبد المطلب فأخذها .

وكانت قريش ومن سواهم من العرب إذا اجتهدوا فى الدعاء ، سجعوا وأَلَّفوا الكلام ، وكانت فيما يزعمون قَلما (٣) تُرد إذا دعا بها داع .

حدثنا أحمد قال : نا يونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنـى عبد الله بن

= ورثنا المجد من آبا ئنا فمشى بنا صـعدا
وزمزم فى أرومتنـا ونفقا عين من حسدا

انظر السيرة النبوية لابن هشام .

(١) قال ابن إسحاق عن هذين الغزالين إنهما اللذان دفنت جُرهم فيها حين خرجت من مكة . انظر سيرة ابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط . دار الجيل ١ / ٢٨٢ .

(٢) القداح هو السهم قبل أن ينصل ، والجمع القِدْحُ انظر لسان العرب ٥ / ٣٥٤٢ ط. دار المعارف .

(٣) أى نادراً .

أبى نجيح ، عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير عن عبد الله بن خرِّيت - وكان قد أدرك الجاهلية - قال : لم يكن من قريش فخذ إلاَّ ولهم ناد معلوم فى المسجد الحرام ، يجلسونه ، فكان لبنى بكر مجلس تجلسه ، فبينا نحن جلوس فى المسجد ، إذ أقبل غلام ، فدخل من باب المسجد مسرعًا حتى تعلق بأستار الكعبة ، فجاء بعده شيخ يريده ، حتى انتهى إليه ، فلما ذهب ليتناوله يبست يداه ، فقلنا ما أخلق هذا أن يكون من بنى بكر ، فتحقبناه العرب مع ما تحدَّث به عنا ، فقمنا إليه ، فقلنا : ممن أنت ؟ فقال : من بنى بكر ، فقلنا : لا مرحبًا بك ، ما لك ولهذا الغلام ؟ فقال الغلام (١) : ولا والله ، إلا أن أبى مات ونحن صبيان صغار ، وأُمنا مؤتمة لا أحد لها فعاذت بهذا البيت فنقلتنا إليه وأوصت فقالت : إن ذهبت وبقيتم بعدي فظلم أحد منكم ، أو ركب بكم أمر ، فمن رأى هذا البيت فليأته فيتعوذ به فإنه سيمنعه ، وإن هذا أخذنى واستخدمنى سنين ، واسترعانى إبله ، فجلب من إبله قطيعًا ، فجاء بى معه ، فلما رأيت البيت ذكرت وصاة أمى ، فقلنا : قد والله أرى منعك ، فانطلقنا بالرجل ، وإن يديه لمثل العصوين قد يبستا ، فأحقبناه (٢) على بعير من إبله ، وشددناه بالحبال ، ووجَّهنا إبله ، وقلنا : انطلق لعنك الله .

حدثنا أحمد قال : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن أبى بكر أنه قال : كنت امرءًا تاجرًا ، فسلكت ثَنية فى سفر لى ، فإذا رجل منها يقول : أتؤمنى أؤمنك ؟ فقلت : نعم ، فقال : أدنه ، فأتيته ، فإذا هو نهيش قد أنيبته حية أصابته ، فقال : يا عبد الله هل أنت مُبلغى إلى أهلى ها هنا ، تحت هذه الثنية ؟ فقلت : نعم ، فاحتملته على بعيرى ، فأتيت به على أهله ، فقال لى رجل من القوم : يا عبد الله ممن أنت ؟ فقلت : رجل من قريش ، فقال : والله إنى لأظنك مصنوعًا لك ، والله ما كان لص أعدى منه .

قال : وأضلتنى ناقة لي قد كنت أعلفها العجين ، فلما أيست منها ، اضطجعت عند رحلى ، وتقنَّعت بثوبى ، فوالله ما أهبنى إلاَّ حس مشفرها تحرك به قدمى ، فقمت إليها ، فركبتها .

(١) واضح أن جواب الشيخ البكرى سقط من الأصل كما سقط أيضا بداية جواب الغلام .

(٢) أى أردفناه ، أحقب الرجل أردفه (انظر المعجم الوجيز ص ١٦٢) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى من سمع عِكْرِمة يذكر عن ابن عباس قال : بينا (١) أنا جالس عند عمر بن الخطاب ، وهو يعرض الناس على ديوانهم ، إذ مرَّ شيخ كبير أعمى يجبذ قائده جبذًا شديدًا ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم منظرًا أسوأ ·

قال : فقال له رجل : يا أمير المؤمنين هذا ابن صَبغاء البهزى ، ثم السُّلَمِى بَهيك بريق ، فقال عمر : قد أعلـــم أن بريقًا لقب ، فما اسم الرجل ؟ قالوا : عِياض ، قال عمر : ادعوا لى عِياضًا ، فدعى ، فقال : أخبرنى خبرك وخبر بنى صبغاء - وكانوا عشرة نفر ·

فقال عِياض : شىء كان فى الجاهلية قد جاء الله بالإسلام ، فقال عمر : اللهم غفرًا ، ما كان أحرانا نتحدَّث عن أمر الجاهلية منَّا حين هدانا الله عز وجل للإسلام ، وأنعم علينا به ! فقال : يا أمير المؤمنين كنت امرءًا قد نفانى أهلى ، وكان بنو صبغاء عشرة ، وكانت بينى وبينهم قرابة وجوار ، فتنقصونى ما بى وتذللونى ، فسألتهم بالله والرحم والجوار إلا ما كفوا عنى ، فلم يفعلوا ، ولم يمنعنى ذلك منهم ، فأمهلتهم حتى دخل الشهر الحرام ، ثم رفعت يدى إلى الله عز وجل فقلت :

اللَّهُمَّ أدعوكَ دُعـــاءً جَاهدَا ... اقتُل بَنى الصَّبغاء إلاَّ وَاحدَا
ثُم اضْرِب الرجلَ فَذرهُ قَاعدَا ... أَعمى إذا ما قيد عنِّى القَائدَا

فتتابع منهم تسعة فى عام واحد ، وضرب الله عز وجل هذا ، وأعمى بصره ، فقائده يلقى منه ما رأيت ، فقال عمر : إن هذا لعجب ·

فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنـــين شأن أبى تقاصف الخناعى ، ثم الهُذلى ، وأخوته أعجب من هذا ، فقال عمر : وكيف كان شأن أبى تقاصف وإخوته ؟ فقال : كان لهم جار هو منهم بمنزلة عياض من بنى صَبغاء ، فتنقَّصوه وتذللوه فذكَّرهم الله والرحم والجوار ، فلم يعطفهم ذلك عليه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام ، رفع يديه ثم قال :

---

(١) بمعنى بينما ·

اللَّهُمَّ رَبَّ كل آمن وخَائِفْ   وسَامِعَ هِتَاف كـل هَاتفْ
إنَّ الخنَاعِى أبــا تَقاصِفْ   لَم يُعطِنى الحقَّ ولَم يُنَاصِفْ
فَاجمع لهُ الأَحبـةَ الألاَطِفْ   بَين قِران ثـم وَالتواصِفْ

قال فنزلوا فى قَلِيب (١) لهم يحفرونه حيث وصف ، فتهور عليهم ، فإنه لقبرهم إلى يومهم هذا .

فقال رجل من القوم : شأن بنى مؤمل من بنى نصر أعجب من هذا ، كان بطن من بنى مُؤَمل ، وكان لهم ابن عم قد استولى على أموال بطن منهم وراثة (٢) فألجأ نفسه وماله إلى ذلك البطن ، فتنقصوا ماله وتذللوه وتضعفوه ، فقال : يا بنى مُؤمل ، إنى قد ألجأت نفسى ومالى إليكم لتمنعونى ،وتكفُّوا عنى ، فقطعتم رحمى ، وأكلتم مالى وتذللتمونى ، فقام رجل منهم يقال له رياح ، فقال : يا بنى مؤمل صدق ، فاتقوا الله فيه وكفوا عنه ، فلم يمنعهم ذلك منه ، ولم يكفوا عنه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرجوا عُمَّارا (٣) ، رفع يديه فقال :

اللَّهُمَّ زِلّهِمْ عَنْ بَنِى مُؤَمـلْ   وَارم على أقفَائهِمْ بِمنكَلْ
بِصَخْرة أو بعضِ جَيْشٍ جَحفلْ   إلاَّ رِياحًا إنه لَـم يَفْعَلْ

فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا إلى جبل فأرسل الله عز وجل من رأس الجبل صخرة تجر ما مرت به من حجر أو شجر ، حتى دكتهم (٤) به دكة واحدة ، إلاَّ رياحًا وأهل خِبائه (٥) ، لأنه لم يفعل .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن هذا للعجب ، لمَ ترون هذا كان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أنت أعلم ، فقال : أما إنى قد علمت ذلك ، كان الناس أهل

---

(١) القَلِيب : البئر والجمع قلب انظر المعجم الوجيز صـ ٥١٢ .
(٢) هكذا فى الأصل وقد تكون « ورثوها » أو أن فعله هذا وراثة عن أبيه والله أعلم .
(٣) يريدون أداء العمرة .
(٤) أى أهلكهم وأماتهم وسوَّاهم بالأرض .
(٥) أى من معه من أهله .

الجاهلية لا يعرفون ربًّا ولا بعثًا ، ولا قيامة ولا جنة ، ولا نارًا ، فكان الله عز وجل يستجيب لبعضهم على بعض ، للمظلوم على الظالم ، ليكف بذلك بعضهم عن بعض ، فلما بعث الله عز وجل هذا الرســول ، وعرفوا الله عز وجل والبعث والقيامة ، والجنة والنار ، وقال الله عز وجل : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ [1] فكانت المدد والإملاء [2] .

* * *

(١) سورة القمر : الآية ٤٦ .

(٢) أى الإمهال وتأخير الحساب للآخرة ،فالله يمهل ولا يهمل .

نَذْر عبد المطَّلب

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يذكرون ، قد نذر حين لقى من قريش – عند حفر زمزم – ما لقى : لئن وُلِدَ له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، ليَنحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة : الحارث ، والزبير ، وجُحل ، وضِرار ، والمقوَّم ، وأبو لهب ، والعبَّاس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذى نذر ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوا له ، وقالوا له : كيف تصنع ؟ فقال : يأخذ كل رجل منكم قدحًا ، فيكتب فيه اسمه ، ثم تأتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبل فى جوف الكعبة ، وكان هُبل عظيم أصنام قريش بمكة ، وكان على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هُبل سبعة أقداح [١] ، فى كل قدح منها كتاب ، قدح فيه « العقل » [٢] ، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله [٣] منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فعلى من خرج حمله ، وفيها قدح « الغفل » [٤] ، وقدح فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه ضرب به فى القداح ، فإن خرج قدح « نعم » ، عملوا به ، وقدح فيه « لا » ، فإذا أرادوا أمرًا ضربوا به فى القداح ، فإذا خرج ذلك القدح ، لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه « منكم » وقدح فيه « من غيركم » وقدح فيه « ملصق » وقدح فيه « المياه » فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك ، فحيثما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو ينكحوا منكحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أو شكُّوا فى نسب أحد منهم ، ذهبوا به إلى هُبل ، وذهبوا معهم بجزور ومائة درهم إلي صاحبه (صاحب القِداح) التى يضرب بها ، فأعطوها إياه ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، وقالوا : اضرب ، اللهم أخرج على يديه اليوم الحق ، ثم استقبلوا هُبل ، فقالوا : يا إلهنا ، هذا فلان ابن فلان كما زعم أهله ، يريدون كذا وكذا ، فإن كان كذلك فأخرج فيه « الغفل » ، أو « نعم » أو « منكم » وأقبل هديته ، فإن خرج من هؤلاء

---

(١) سبق تعريفها .
(٢) أي الدية .
(٣) أى يتحمله .
(٤) أى بدون كتابة .

الثلاثة كتب فى قومه وسيطًا (١) ، وإن خرج عليه « من غيركم » كان حَليفًا ، وإن خرج عليه « ملصق » كانت منزلته فيهم لا نسب ولا حلف ، وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون من أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

* عبد المطلب يحتكم إلى القداح :

فقال عبد المطلب : اضرب على بنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره ، وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله ﷺ أصغر بني أبيه (٢) ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمرو بن عَائذ بن عبد الله بن عُمران بن مَخزوم ، وكان - فيما يزعمون - أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى (٣) ، فلما أخذ صاحب القداحِ القداحَ ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ لا يَخرجْ عليه القِدْح   إِنى أَخافُ أَن يكون قَدْح
إِنْ كَان صَاحبــــى للذَّبح   إِنى أَراهُ اليـوم خَيْرَ قِدْح
حَتى يكون صَاحبــى للمنْح   يُغْنِى عَنى اليَوم كَل سَرْح

* خروج القدح على عبد الله :

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة (٤) ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ، الوثنين اللذَين تنحر عندهما قريش ذبائحها ، ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ فقال : أذبحه ، وأنشأ يقول :

عَاهَدْتُ رَبِّى وَأَنَـــا مُوفٍ عَهْدَهُ   أَيامَ أَحْفُرُ وَبُنَــىَّ وَحْــــــدهُ

(١) وسيطًا : أى خالص النسب أو شريفًا فى قومه .

(٢) أى حين أراد نحره ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس لأن حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة .

(٣) أى أبقى انظر القاموس المحيط ٢ / ٧٨١ .

(٤) الشفرة : السكين العظيم انظر القاموس المحيط ٢ / ٦٣ .

وَاللهِ لاَ أَحمدُ شَيئًا حَمْدَهُ ... كَيف أُعَادِيه وأَنا عَبْدهُ
إنِّى أَخافُ إنْ أَخَّرتُ وَعْدَهُ ... أَنْ أُضَلَّ إنْ تَركتُ عَهْدَهُ
مَا كُنْتُ أَخشَى أَنْ يكونَ وَحْدَهُ ... مِثْل الذى لَقيتُ يَومًا عِنْدَهُ
أَوجَع قَلبى عِنْدَ حَفْرِى رَدَّهُ ... وَاللهِ رَبِّى لاَ أعيشُ بَعْدَهُ

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ذكروا أن العباس بن عبد المطلب اجتره من تحت رجل أبيه حتى خدش وجه عبد الله خَدَشًا ، لم يزل فى وجهه حتى مات .

* عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه :

قال ابن إسحاق : فقالت قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبدًا ونحن أحياء حتى نعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال رجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على ذلك .

قال ابن إسحاق : وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم – وكان عبد الله بن عبد المطالب ابن أخت القوم – : والله لا تذبحه أبدًا حتى نعذر فيه ، فإن كان فداء ، فديناه بأموالنا ، وقال فيما يزعمون فى ذلك شعرًا حين أجمع عبد المطلب فى ذبح عبد الله بما أجمع :

وَاعَجَبِى مِنْ قَتْلِ عَبد المطَّلبْ ... وَذبحه خرقًا كَتمثالِ الذَّهَبْ
يَا شَيبَ لاَ تَعجَلْ عَلينا بِالعَجبْ ... فَما ابْننا بِشرطِ القومِ النَّجبْ
وَلاَ ابنكُم بالمْستذَلِّ المغْتَصبْ ... نُفَاديه بالمال حَتى نُختَربْ
فَسَوف أَفديه بمالى والسَّلَبْ ... وَسوف ألقى دُونَه من الغَضبْ
أشوس آباء قَبيحات الحَطَبْ ... مَا ذبح عبد الله فِينا باللَّعبْ
ذَبحًا كما يُذْبَح مَعتُوبى النُّصب ... كَلاَّ ورَب البيَتِ مَستَور الحُجَبْ
لاَ يَعجَل المَذبوح حَتى نَضْطَرِب ... ضَرَبًا يزيل الهَام من بعْد الغضَبْ
بِكُل مَصقُولٍ رَقيق ذِى شَطَبْ ... كَالبرقِ أو كالنارِ فى الثوبِ العَطبْ

قال أبو عمرو : ويقال : القطب والعطب ، القطن .

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو طالب حين أراد عبد المطلب ذبح عبد الله – وكان ابن أمه – وحين قال الغميرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ما قال :

كَلاَّ وَرَب البيـــتِ ذِى الأَنصابِ وَرَب مَا أَنضَى مَـــن الركابِ
كُل قَرِيب الـــدارِ أو مُنْتَابِ يَزورُ بَيْتَ الله ذَا الحجَـــابِ
مَا قَتْلُ عَبْد الله باللّعـــابِ مِنْ بَين رَهْط عُصبة شَبَابِ
ابن نِساء سطة (١) الأَنســـابِ أَغر بينَ البِيضِ مِنْ كلابِ
وَبين مَخْزومٍ ذَوى الأَحْسَـــابِ أَهْل الجِيَادِ القَبِ وَالقبـــابِ
لَستم عَلى ذَلـــك بالأذنابِ حَتى تَذوقوا حَمس الضِّرابِ
بِكُل عضْبٍ ذَائب اللعـــابِ ذِى رَوْنقٍ فى الكف كالشِّهابِ
تَلقاه فى الأقرانِ ذَا أنداب إن لم يجعل أجـــل الكتَابِ
قلت وما قـــولى بِالمعَاب يَا شيب إِنَّ الجورَ ذُو عقاب
إنَّ لنَا إنْ جَرت فى الخِطابِ أَخْوال صدْق كَأُسُودِ الغَابِ
لَنْ يُسْلِموهُ الدَّهرَ للعذَابِ حَتى يَمصَّ القَاع ذُو الترابِ
دِماءَ قَوْمٍ حَرم الأسلابِ

فقال عبد المطلب عند ذلك :

اللهُ ربِّـــــى وأَنَا مُوفٍ نَذْرَهُ أَخافُ رَبِّى إنْ عَصَيْتُ أَمـــرهُ
وَالله لاَ يَقـــدرُ شَىءٌ قَدْرهُ فَهو وَلِيِّى وإليـــه عُمرهُ
هَذا بُنَىَّ قَـــد أَردتُ نَحرهُ فإن نُؤَخِّره وَتُقبـــل عُذْرَهُ
وَتصْرِف المـــوتَ لَهُ وَحَذَرهُ وَتصْرِف المـــوتَ فَلا يَضُرهُ
مِنْ جَهدِ إنسَـــان وَلا تَعُره سواكَ رَبِّى ويكـــونَ قَرهُ
لِكُلِّ عَـــينِ نَاظِرٌ تُسرهُ أَعْطيتَهُ رَبٌّ فَـــلا تَعرهُ
لحزَن يوجـــعنى مَسرهُ

(١) السطة : النسب العريق .

* ما أشارت به عرَّافة الحجاز على عبد المطلب :

فقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق إلى الحجار فإن به عرَّافة يقال لها نجاح (١) ، لها تابع فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، فإن أمرتك بذبحه ، ذبحته ، وإن أمرتك بغير ذاك مما لك وله فيه فرج قبلته ، فقال : نعم .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها فيما يزعمون بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب شأنه وشأن ابنه وما كان نذر فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى ، فأسأله ، فخرجوا من عندها ، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبِّ لاَ تُحقِّق حَــذَرِى ... وَاصْرِفْ عَنه شَرَّ هَذا القَدَرِ
فَإِنِّى أَرجُو لِمــا قَد أَذَرِ ... لأَن يكون سـيدًا للبَشَرِ

ثم غدوا إليها ، فقالت : نعم ، قد جاءنى الخبر ، فكم الدية فيكم ؟ فقالوا : عشرة من الإبل (٢) ، وكانت كذلك ، فقالت : فارجعوا إلى بلادكم ، فقدموا صاحبكم ، وقدموا عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليها بالقداح ، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم عز وجل ، فإذا خرجت القداح على الإبل ، فقد رضى ربكم ، فانحروها عنه ، ونُجِّى صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا لذلك الأمر ، قام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، ويقول :

اللَّهُمَّ إنكَ فَاعِــلٌ لِمَا تُرِدْ ... إنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ الصَّوابَ والرَّشَدْ
إِنِّى مُوَالِيكَ عَلَى رَغْــمِ مَعَدْ ... وسَــاقِى حَجِيْجِكَ الأَبَــدْ
أَوَرِثَنِى سُقِياهم أَبِى وَجَــدْ ... فَإِنَّ وَجْدِى فَاعلمــن وَجْدُ وَجد
أَنْتَ الذى تَعْلَم كُل صَــمدْ ... فَلا تُحقق حَــذَرِى بَــولدْ

واجعل فِداه فى الجلاه الجـعدْ

(١) قيل اسمها : قطبة ، ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات ، وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس أن اسمها : سجاح .

(٢) وهذا دليل على أن الدية كانت عشرة من الإبل وأن عبد الله جعلها مائة فهو أول من وُدِىَ بمائة من الإبل .

حدثنا أحمد بن عبد الجبَّار قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فلما قربوا عبد الله وعشرًا من الإبل ، وعبد المطلب فى جوف الكعبة يدعو ويقول :

اللَّهُم رَبُّ العَشْرِ بعد العَشْرِ وَرَبُّ مَن يَأتِى بِكُلِ نَذْرِ
أَنْجِ عَبْدَ اللهِ عَنْدَ النَّحْـــرِ وَنَجِّهِ مِنْ شَفْعِهَا وَالوَتْرِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل عشرين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبِّ عِشْرِين وَربُّ الشَّفْـــعِ أَنْجِ عِبْدَ اللهِ رَب النَّـــفْعِ
مِنْ ضَرْبَةِ القدْحِ التى فِى الجِذْعِ وَأَعْطِه الرَّفْعَ الذى فِى الرَّفْعِ
وَلا يكونَ ضَرْبَـــــهُ كَاللذْعِ كَلَذْعَةِ النَّارِ التى فى السَّـفْعِ

ثم ضربوا ، فخرج الســـهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

رَبُّ الثَّلاثِينَ وَلِـــىُّ النِّعَمْ امْنن أَنْ نُـــصَابَ بِالدَّمْ
هَذا الغُلاَمُ جُنَّةٌ لَـــم يَعْلَمْ فَطار قَلبى فَهوــ مِثل المَغرمْ
لذكر عَبْدِ اللهِ حَتى يَســلَمْ وَتُنْحَرِ الذُّودُ التى لـم تُقْسَمْ
وَنَجه مِنْ ضَربةٍ لم تكلَمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهـــم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل أربعين ، فقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُمَّ رَب الأَربعين إذْ بَلغتْ أَنْجِ بَنِىَّ مِنْ قِداح كُتِبَتْ
وَانْحَرِ الذُّودَ التى هـــملتْ وَجُلِّلتْ فى قَتله وذيخَتْ
بَلِّغْ رِضَاك رَبَّنا إِذ جعــلت عَدْلَ بَنِى عَبْد مَناف وَقَعَتْ

ثم ضربوا فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبِّ خَمسينَ سِمَانٍ بُدْنِ مِنْ كُل كَوْمَاءَ لَه لم تُعْطَنْ
إلا لِرَبٍّ مَاجِـــدٍ مُمكِّنْ أَنْجِ عَبْـــدَ اللهِ رَب الأَركنْ
وانْحَرِ الذُّودَ التى لم تَسْكُنْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ستين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللّٰهُمَ رَبَ السِّتِّينَ ورَبَ المَشْعَرْ ... وَرَب مَنْ حَـــجَّ لَهُ وَكَبَّرْ
يَسْعَى لِربٍّ قَادر ليــــــغفرْ ... أَنْجِ عَبْدَ اللهِ عِنْــدَ المَنْحَرْ
وَعافِهِ مِنْ ضَرَبْةٍ لا تُــــجبَرْ ... لِتُبلغِ العَظْمَ بِها فَيُكْـــسَرْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغ الإبل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبٍّ سَبْعِينَ له قد جُمعتْ ... فَاذبح الذُّودَ التى قد عُطِّلتْ
وَحُسِبَتْ فِى قَتْلِه وخيــسَتْ ... وَأخرجِ السَّـــهم لَها إذ بُذِلَتْ
حَتى تَكُونَ دِيَة قد كَمُلَـــتْ ... عَنْ مَقْتُـــــول له إذ قبلَتْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبَّ الثمانِين وَرَبَّ الإهلالْ ... وَربَّ مَنْ يَأتيكَ لِلإِجْـــــلالْ
اجْعَل فِدَاء وَلَدِى ذُود أَبَـــالْ ... سَوفَ تَرى شُكْرِى عِنْدَ الإحلاَلْ
كَشُكْرِ مَنَ يَسْعَـــى بِغَيرِ أَنْعَالْ ... أمْنِنْ بِهِ عَلىَّ رَبَّ الأفْـــضَالْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل تسعين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبَّ تِسعينَ وربَّ المشـــرعْ ... وَرَبَّ مَنْ يَدْفَعُ عِنْدَ المدْفَعْ
حَتى يُجِيزُوا مَعْشَرًا لِلمجْمَعْ ... أَنْجِ لى عَبْدَ اللهِ عَنْد الأَذْرَعْ
وَنَجِّه من ضَرْبَةٍ لاَ تُرْجِعْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل مائة وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللّٰهُمَّ رَبَّ مَائَة تُقْسَــــم ... وَرَبَّ مَن يَهْوِى بكُلٍّ مَعْلَم
وَرَبَّ مَنْ أهْدَى لِكَل مَحْرَمْ ... قَد بَلَغَتْ مَائَةً لَمْ تُقْسَـــم
أرْغِم أعْدَائِى بَها ليرغَموا

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، فقالت قريش ومن حضره : قد رضى ربك ، وخلص لك ابنك ٠

* نجاة عبد الله من الذبح :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : فذكروا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ أَنْتَ هَدَيْتنــــى لِزَمْزَمْ ... إِنَّ بُنَىَّ أَحَبُّ مَنْ أن تكلم
فَلا تُرِينيه الغَــــداة فى الدَّمْ ... فَإِن حُزْنِى يُدخِل فى الأَعْظَمْ
فَاجعل فِداَه مَائة لَــــم تُقْسَمْ ... حَتَّى نُفَادِيه بكُـــل أَعْجَمْ
امْنن علـــىَّ ذا الجلاَل المُنْعمْ ... وأَوْقعِ المــــوتَ لِذُود عتم
وثُمَّ رَبٍّ فَاجْعَــلَنَّ مَا تَمْ ... ثُم اصْرِفِ الموتَ إليها يَسْلَمْ
بَحَوْلك اللَّهُـــمَّ عَيْشَ خَرِمْ ... وأَنتْ إنْ سَلمْتَهُ لَـــمْ يكْلَم
فَبَلِّغِ العَيْـــشَ بِه فَيَهْـــرَمْ ... حَتى أَراهُ عِنْـــدَ كلِ مَقْدمْ

يُبَيِّنُ الخيرَ لِمـــن توسَّمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثانية ، وعبد المطلب مكانه عند هُبل ، فلما أرادوا أن يضربوا ، قال :

يَا رَبِّ لاَ تُشْمتْ بِى الأَعَادِى ... إن بَـنِىَّ ثَمـــرةُ فُؤَادِى
فَلا تَسيل دَمَهُ فِى الوَادِى ... وَاجْعَل فِداَهُ اليَوم من تِلادى
ذَودٌ لقـــاح بُدَّنًا أَندَادى ... حَتى تكـــون فدْية الأولادِ
وَلا تُرْثِنِيــــه الأَذْواد ... إِن بَنِىَّ رَبِّ لَمْ يُفَـــادِى
لَكن يَميـــن قَسَّمَ الجَوادِ ... فَقَدْ تَرانى رَبِّ لـــم أُضَادِى

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثالثة ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبٌّ قَدْ أَعْطَيتنى سُؤالى ... أَكْثَرتُ بَعْـــدَ قلَّة عيالى
فَاجْعَل فداهُ اليَوم جُلَّ مَالى ... مُعْلات تَســـحَبُ الأجْلاَل
وَلا تُرينَــــهُ بِشَرٍّ حَال ... فَإنه يُدْخِلُنــــى سُلاكَى
بَأن يكـــون النَّحْرللهلال ... أَو تَصْرِفَ الموتَ فَلا أُبَالى
عَن ابنِى الأصْغَرِ ذَا الجَلال ... أَنْتَ الولِىُّ المُنْعِمُ المِفْضَال
فَأنعِم اليَـــومَ لِذَاكَ بَالى ... فَإنَّه قَدْ نَـــزل المَوالى
كُلُّهُمْ يبْكــــى مَن ... كَل فَتَى أبيَض كَالهـــلال

وقالت آمنة أم النبى ﷺ (١) :

يَا رَبٌّ بَارِك فَى الغُلامِ الأَزْهَرْ ... فِى الهَاشِمِّى وَالكَرِيمِ العُنْصُرْ

ثم ضربوا بالقداح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصد عنها أحد (٢) .

* * *

(١) هذا ليس حقه أن يأتى هنا والمفروض أن يأتى بعد ذكر ميلاد النبى ﷺ ولكن تركناه التزاما بالترتيب حسب أصل المخطوطة .

(٢) هنا يظهر التكلف والاختراع على هذه القصة شديد الوضوح ، وهى كما يبدو اخترعت من قبل أكثر من إنسان وعبر فترات طويلة ، ويبدو أيضًا أن فكرتها مستوحاة من القرآن حيث تم ذكر النبى إبراهيم مع قصة ذبحه ابنه ومسألة الفداء ، ولا شك أن هذه الرواية استهدفت رفع مكانة النبى محمد ﷺ والعناية الخاصة التى أحيط بها والده ، ومن الأدلة على اختراعها انعدام الأضاحى البشرية فى مجتمع مكة لما قبل الإسلام ، ذلك أن القرآن لم يشر لوجود مثل هذه العادة كما لم يشر من جهة ثانية إلى حادثة من هذا القـــبيل وقعت لأبى النبى ، والمشكلة العويصة فى هذه الرواية هى الشعر ، فهو منظوم ركيك محال ضبطه وبالتالى من العبث شرح كلماته ، وسبق لابن هشام أن واجه هذه المسألة حين أورد هذه القصة فحذف الشعر وقال : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

تزويج عبد الله بن عبد المطلب

• عبد الله يرفض المرأة التى عرضت نفسها عليه :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يُونُس ، عن ابن إسحاق قال : ثم انصرف عبد المطلب آخذًا بيد عبد الله ، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة (١) من بنى أسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَى ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه - فيما يذكرون - : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ؛ قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحرت عنك ، وقع علىَّ الآن ، فقال : إن معى أبى الآن ، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ، ولا أريد أن أعصيه شيئًا ».

* عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب :

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة - ووهب يومئذ سيد بنى زُهرة نسبًا وشرفًا - فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا ، وهى لِبَرَّة (٢) .

---

(١) يروى أن عبد الله دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة، ورجحت أن تحمل بهذا النبى ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله لها :

أما الحرام فالحمـــام دونه   والحل لا حِلَّ فأستبيـــــــنه
فكيف بالأمر الذى تبغينه   يحمى الكريم عرضه ودينه ؟!

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، تكنى : أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته إلى نكاحها فأبى ، وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

(٢) أى اسم أمها برة .

أمهات آمنة[١]

بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى .

وأم بَرَّة : أمُّ حبيب بنت أسد بن عبد العُزى بن قُصى ، وأمُّ حبيب بنت أسد لِبَرَّة بنت عوف بن عبيد بن كعب بن لُؤى .

قال ابن إسحاق : فذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه [٢] ، فوقع عليها عبد الله ، فحملت برسول الله ﷺ ، فخرج من عندها حتى أتى المرأة التى قالت له ما قالت ، وهى أخت ورقة بن نَوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهى فى مجلسها فجلس إليها ، وقال : مالك لا تعرضين علىَّ اليوم مثل الذى عرضت علىَّ أمس ؟ قالت : فارقك النور الذى كان فيك ، فليس لى بك اليوم حاجة .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت فيما ذكروا ، تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر واتبع الكتب - يقول : إنه لكائن فى هذه الأمة نبىٌّ من بَنى إسماعيل ، فقالت فى ذلك شعرًا ، واسمها أم قبال ابنة نَوفل بن أسد [٣] كذا قال : « أُم قِبال » :

الآنَ وَقَدْ ضيَّعت ما كنتَ قَادرا ... عَليه وفَارقك الذى كَان جَاكَ

غَدَوتَ عَلىَّ حافلاً قَدْ بَذَلْتَهُ ... هَناك لِغَيْرِى فَالْحَقَنَّ بِشَأنكَا

ولا تَحْسَبَنِّى اليَوم جَلْوا ولَيْتَنِى ... أَصَبتُ حَبِيبًا مِنْك يَا عَبْدَ دَارِكَا

ولَكن ذَاكُم صَار فى آلِ زُهْرَة ... بِه يَدْعَمُ اللهِ البَرية نَاســـكا

فأجابها عبد الله فقال :

تَقُولِينَ قَولاً لَسْتُ أَعلَمُ مَا الذِى ... يكونُ ومَا هُو كَائِن قبل ذَلِك

---

(١) تكرر هذا الموضوع لفائدة زائدة .

(٢) أى : دخل بالسيدة آمنة حين أُملكها .

(٣) سبق الإشارة أن كنيتها : أم قتال وهنا جاء كنيتها أم قبال فيجوز أن تكون الكنيتان صحيحتين ، ويجوز أن يكون هذا الاختلاف نتج عن أن المخطوطة كتبت بعدة خطوط ، هذا بالإضافة إلى ما حدث للمخطوطة من تأثر بالرطوبة فى المكتبة مما أدى إلى طمس بعضها أحيانا . والله أعلم .

فَإِنَ كُنتُ ضَيَّعتُ الذى كَان بينَنَا ... مَنِ العَهدِ وَالميثاق فى ظِلٍّ دَارِك
فَمثْلُك قَد أَصبْت عَند كل حلِّه ... ومثلى لا يستام عند الفَوارِك

فقالت له أيضا أم قبال :

عَليك بآل زُهْرَةَ حيث كَانُوا ... وآمنةَ التـــى حَملَتْ غُلاَمَا
يرى المهـــدى حينَ يَرى ... عَلَيْه نُورٌ قَدْ تَقَدَّمَه أمَامَا
فَيَمْنَعُ كُلَّ مُحْصـــنة خَرِيد ... إذا مَا كان مُرْتَديًا حسـَـامَا
وَتخفره الشمـَـــال وَبانَ منها ... رِياحُ الجَدْبِ تَحْسَبُه قَتَامَا
فَأنْجَبَه ابن هَاشم غير شَك ... وأدته كَريمتـــــهُ همَامَا
فكُلُّ الخَلْقِ يَرْجُوهُ جَميعًـــا ... يَسُودُ النَاس مُهْتَـــديًا إمَامَا
بَراهُ اللهُ منْ نُور مُصَفًّـــى ... فَأَذْهَبَ نُوْرهُ عَنَّـــا الظَّلامَا
وَذَلكَ صُنْعُ رَبِّكَ إذْ حَبَاهُ ... إذا مَا سَار يَومًا أَوْ أَقَامَا
فَيُهدى أَهْلَ مكَّة بَعْدَ كُفْرٍ ... وَيَفْرِضُ بَعْدَ ذَلكمُ الصِّيَامَا

وقال عبد المطلب :

دَعوت رَبِّى مُخْفيًا وَجَهْرا ... أعلنتُ قَولى وحَمدتُ الصَّبْرَا
يَا رَبٍّ لاَ تَنْحَر بُنَىَّ نَحرًا ... وفَاده بَالمـــال شَفْعًا ووترا
أُعْطيكَ منْ كُل سَوام عَشرًا ... أَوْ مَائة دَهْمًا وَكمتا وَحُمْرا
مَعْرُوفَة أُعلامُهَا وَصَـــحْرًا ... لله منْ مَالـــى وفَاءً وَنَذْرا
عَفْوًا وَلَم تُشْمتْ عيُونًا خزْرًا ... بالواضح الوجه المزينِ عُذْرا
فَالحمدُ لله الأَجَلَّ شُـــكْرا ... أَعْطَانى البِيْضَ بَنِى زُهْرا
ثُمَّ كَفَانى فى الأُمُورِ أَمرًا ... قَدْ كَان أَشْجَانِى وَهَدَّ الظَّهْرَا
فَلَسْتُ وَالبيتُ المغطَّى سترا ... وَاللاَّت والرُّكْن المحاذى حجرا
منْكَ لأنْعُمــــك إلهى كُفْرًا ... مَا دُمْتُ حيًّا حتـى أزور القَبرا

* * *

* قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : حدِّثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة ابنة وهب بن عبد مناف ، فمر بامرأته تلك ، وقد أصابه أثر طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين ، فدخل فغسل عنه أثر الطين ، ثم دخل عامدًا إلى آمنة ، ثم دعته صاحبته التى كان أراد إلى نفسها ، فأبى للذى صنعت به أول مرة ، فدخل على آمنة فأصابها ، ثم خرج فدعاها إلى نفسه ، فقالت : لا حاجة لى بك ، مررت بى وبين عينيك غرة ، فرجوت أن أصيبها منك ، فلما دخلت على آمنة ، ذهبت بها منك .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يُونُس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثت أن امرأته تلك كانت تقول : مرَّ بى وإن بين عينيه لنورًا مثل الغرة ، فدعوته رجاء أن يكون لى ، ودخل على آمنة فأصابها ، فحملت ، برسول الله ﷺ .

* رؤيا آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أُتيت حين حملت محمدًا ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع الأرض (١) فقولى :

أُعيذُهُ بَالواحــدْ مَنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِــدْ
فِى كُلِّ بَرٍ عَابِــدْ وَكُلِّ عَبْدٍ رَائِــدْ
نَزولُ غَيْرِ زَائِــدْ فَإنه عَبْدُ الحَمِيد الماجِدْ
حَتَى أَراهُ قَدَ أَتَى المشَاهِدْ

فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصَرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمدًا (٢) ، فإن اسمه فى التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه فى الفرقان محمد فسميه بذلك .

---

(١) فى سيرة ابن هشام « وقع إلى الأرض » وهكذا يستقيم المعنى . انظر سيرة ابن هشام ط . دار الجيل ١ / ٢٩٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة وذلك أن آباءهم طمعوا حين سمعوا بذكر محمد ﷺ - ويقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز - أن يكون ولدًا=

* وفاة عبد الله :

فلما وضعته ، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها – وقد هلك أبوه عبد الله وهى حُبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبى ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرًا ، فالله أعلم أى ذلك كان (١) – فقالت : قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه ، فلما جاءها أخبرته خبره ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه ، فأخذه عبد المطلب فأدخله فى جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو الله ، ويشكر الله الذى أعطاه إياه ، فقال :

السَّعْدُ لله الَّذِى أَعْطَـــانِى ... هَذا الغُلاَمَ الطَّيبَ الأَرْدَانِ
قَدْ سَاد فِى المهدِ عَلى الغلْمانِ ... أُعيذُهُ بِالله ذِى الأَرْكَـــانِ
حَتى يكُون بلغـــة الفتيَانِ ... حَتَّـــى أَرَاه بَالِغَ البنَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِى شَنَئَانِ ... مِنْ حَاسِد مُضْرِب العنَانِ
ذى هَمة لَيـــس لَهُ عَيْنَانِ ... حَتَّى أَرَاهُ رَافِعِ اللِّســـانِ
أَنْتَ الذى سُمِّيتَ فِى الفُرقانِ ... فِى كُتبٍ ثَابتةِ المثـــانِى
أَحمـــد مكتوبًا عَلَى اللِّسانِ

= لهم . وقد ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . والآخر . محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك ، وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مفعل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة انظر السيرة النبوية لابن هشام ، مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦ .

(١) أكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدولابى وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبى خيثمة ، وقيل أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب ليمتار لأهله تمرا ، وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشـــرين شهرًا انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

وقال عبد المطلب حين فرغ من شأن عبد الله ، وفرّج عنه ما كان فيه من البلاء والهم بذبحه (١) :

دَعَوْتُ رَبِّى دَعْوَةَ المناصِحْ ... دَعْوَةَ مُبْتَاعٍ رِضَاهُ رَابِحْ
فَاللهُ عِنْدَ قِسْمـــــه المَنَائِحْ ... أَعْطَى عَلَى الشُّحِّ من المشَاحِحْ
زَمْزَم لاَ يَمتاحُهـــــا الممائِحْ ... إلا الدلاءَ الزبد السَّوافِحْ
كَم مِنْ حَجِيجٍ مُغْتَدٍ وَرائِحْ ... جَادَ بها مِن بَعْدِ لَوْحِ اللائِحْ
سُقْيًا عَلَى رَغم العدو الماشِحِ ... بَعْد كُنوز الحُلى والصَفَائِحْ
حُلِىٌّ لبيتِ الله ذِى المسَارح ... بَيْتٌ عَليه النُّورُ كَالمصـــــابِحْ
بُنْيَانُ إبراهيم ذِى المسابِحْ ... بَنَاهُ بالرفْقِ وَحِلـــــمٍ رَاجِحْ
بَيْن الجبال الصُّمِّ والصَرادِحْ ... فَهو مثَابٌ لِـــــذوى الطلائح
ينتابه مِنْ كـــــلِ فَجٍّ نَازِحْ ... مُشْتَبِهِ الأعلامِ والصَّحَاصِحْ

وقال عبد المطلب :

الحَمدُ للْخَـــــالِق لا العبَاد ... لما رأى جِـــــدِّى وَاجْتِهادى
وَإنَّنى مُوْفِيـــــه بِالميعَاد ... وَالعهدِ إنَّ العَـــــهْدَ ذُو مَعَاد
فَرَّج عَنِّى كُرْبَةَ الفُؤاد ... وَنَال مِنِّى فِـــــدْيَة المفادى
فَادَيْتُ عَبْدَ الله مِنْ تِلاَدى ... إنَّ البَنِـــــينَ فَلْذُ الأكبَادِ
ثِمَار كَالقَـــــرْعِ لِلفُوَاد ... أَدَمٌ وَحمـــــر كلها تلاَد
قُلْتُ للحَبَـــــاسى لها ذَواد ... هَل مِنكم من صيـــــت يُنَادى
الإِبل نَهْبٌ بينَ أهل الوادى ... فَتركوها وَهـــــى فى عَصْواد
يَركبـــــها بالآلة الحدَاد ... كأنها رَهْوٌ مـــــن المزَاد
يَردى بها ذُو أَحبـــــل صِياد ... وَرَاح عَبْـــــد الله فَى الأَبْرَاد

---

(١) من هنا وحتى نهاية الصفحة التالية كان حقه أن يكـــــون فى آخر فصل «نذر عبد المطلب » لأن مكانه وموضوعه هناك وليس هنا ، ولكن للأمانة العلمية تركناه هنا كما جاء فى الأصل الذى نحققه وهذا حسب ترتيب صفحات المخطوطة .

يَغيظُ أَعْدائى مـــن الحُسَّاد نَجَّيْتَه مِنْ كَـــرْبٍ شِدادِ

وقال عبد المطلب أيضًا :

الحَمدُ لله عَلَى مَا أَنْعَما أَعْطَى عَلى رَغْمِ العَدُوِّ زَمْزَمَا

تُرَاثُ قَوْمٍ لَم يكُنْ مُهَدَّمَا وَالحاسِدُونَ يَخرِقُونَ الأَدَمَا

وَلم يكُنْ حَافِرُهَا لِيَنْدَمَا أَصَابَ فِيها حِلْيَةَ فَتُسلما

لله مَا أَجْرى عَلَيه الأَسْهُمَا وَاللهُ أَوْفَى نَذْرَهُ إذْ أَقْسَما

أَعْطَى بَنِينَ عُصْبَةً وَخَدَمَا فَلَسْتُ وَاللهِ أُرِيدُ مَأْثَمَا

فِى النَّذْرِ أَهْرِيق لله دَمَا مِنْهُم وَقَدْ أَوْفَيْتُهم فَتَمَّما

مِنْ بَعْدِ ما كُنْتُ وَحِيدًا أَيِّما يَرانى الأَعداءُ قَرْنًا أَعْصَمَا

أَعضَب أَو ذَا ارتياب أَعْسَما

وقال عبد المطلـــب :

دَعَوْتُ رَبِّى دَعْوَةَ المغْلُوبِ وَنِعْمَ مُدَّعِى السَّائِل المكْرُوبِ

فَالحمدُ للمستمِعِ العَجِيبِ أَعْطَى عَلى رَغْم ذَوِى الذُّنُوبِ

إِلىَّ والشَّحْنَاء والعُيُوب زَمْزَم ذَات الموضِعِ العَجِيبِ

بَيْنَ سَوَادِ الصَنَمِ المَنْصُوبِ وَبينَ بَيْت اللهِ ذِى الحَجُوبِ

وَتَحْتَ فَرْثِ النَّعَمِ المغْصُوبِ

* * *

مولد رسول الله ﷺ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، نا يُونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى المطلب بن عبد الله بن قَيس ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مَخْرمة قال وُلدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل (١) ، كنا لِدَّين (٢) .

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ (٣) ابن عشرين سنة (٤) .

---

(١) ذكر أن مولده ﷺ كان فى ربيع الأول وهو المعروف ، وقال الزبير : كان مولده فى رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به فى أيام التشريق ، والله أعلم ، وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم ، وأنه ﷺ ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يومًا ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (إبريل) فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغَفْر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين فى الأبد بين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب ذناباها ، ولا ضرر فى الذنابا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه ووُلد بالشعب ، وقيل بالدار التى عند الصفا ، وكانت لمحمد ابن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت ، وقيل فى تفسير بقى بن مخلد إن إبليس - لعنه الله ، رن أربع رنات :رنة حين لُعن ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب : قال : والرنين والنخار هو صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التى تخرج من حلق النائم الشخير انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

(٢) جاء هذا الحديث بهذا السند فى سيرة ابن هشام وهو منسوب لابن إسحاق أيضا ولكن بدلاً من « كنا لِدِّين » عبارة « فنحن لِدَّتان » . انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ١ / ١٦٥ .

(٣) أى وقت حروب الفجار .

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل : (انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦) . وروى عن عثمان بن أبى العاص عن أمه أم عثمان الثقفية ، واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت : حضرت ولادة رسول الله ﷺ فرأيت البيت حين وضع ، قد امتلأ نورًا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علىَّ ، ووُلد رسول الله ﷺ معذورًا مسرورًا ، أى مختونًا مقطوع السرة ، يقال : عَذَر الصبى وأعذر إذا ختن ، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ، لما وضعته ﷺ - وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه مشيرًا بالسبَّابة كالمسبح بها ، انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل ١ / ٢٩٥ .

قال ابن إسحاق : فدفع رسول الله ﷺ إلى أمه ، والتمس له الرضعاء ، واسترضع له حليمة ابنة أبى ذُؤَيب ، وأبو ذُؤَيب عبد الله بن الحارث بن شَجنة بن جَابر بن رِزَام بن نَاصرة بن قُصية بن نَصر بن سَعد بن بكر بن هوازن بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيلان بن مُضر ، واسم أبى رسول الله الذى أرضعه الحارث بن عبد العُزى بن رفاعة بن فَلان بن نَاصرة بن قُصية بن نَصر بن سَعد بن بكر ابن هوازن .

* إخوته من الرضاعة :

وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وحذافة ابنة الحارث ، وهى الشَّيماء [١] ، غلب عليها ذلك ، ولا تعرف فى قومها إلاَّ به ، وهى لحليمة أم رسول الله ، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم .

* حليمة ترضع النبى ﷺ :

حدثنا أحمد ، نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى جهم بن أبى جهم - مولى لامرأة من بنى تيم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، فكان يقال مولى الحارث ابن حاطب - قال : حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يقول : حُدِّثتُ عن حليمة ابنة الحارث - أم رسول الله ﷺ ، التى أرضعته أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، نلتمس بها الرضعاء [٢] ، وفى سنة شَهباء [٣] ، فقدمت على أتان [٤] لى قمراء كانت أذمت بالركب ، ومعى صبى لنا ، وشارف لنا [٥] ، والله ما ننيلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد فى ثديى ما يغنيه ، ولا فى شارفنا ما يغذيه ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلاَّ وقد

(١) ورد أن اسمها أيضًا خذامة .

(٢) هذا غير صحيح لغويًا وقال ابن هشام المراضع ، لأنها جمع مرضع ، وهذا حق لأن الرضعاء جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعًا ، علمًا بأن الرضيع لابد له من مرضع .

(٣)أى مجدبة شديدة القحط . (٤)أى أنثى الحمار . (٥)أى ناقة كبيرة فى السن .

عرض عليها - رسول الله ﷺ - فإذا قيل « إنه يتيم » تركناه ، وقلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ، إنما نرجو المعروف من أبى الوليد ، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلاَّ أخذت رضيعًا غيرى ، فلما لم أجد غيره ، قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله إنى أكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال : لا عليك ، فذهبت ، فأخذته ، فوالله ما أخذته إلاَّ أنى لم أجد غيره .

* الخير الذى أصاب حليمة بسببه ﷺ :

فما هو إلاَّ أن أخذته ، فجئت به رحلي ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربتُ حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى : يا حليمة ، والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم ترى إلي ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه ؟! فلم يزل الله يزيدنا خيراً ، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى إن صواحبى ليقلن : ويلك ، يا بنت أبى ذُؤيب ، أهذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، وَالله إنها لهى ، فيقلن : والله إن لها لشأنا ، حتى قدمنا أرض بنى سَعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله عز وجل أجدب منها ، فإن كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعًا ، لُبَّنًا ، فنحلب ما شئنا ، وما حولنا أحد تَبُضُّ له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعًا ، حتى إنهم ليقولون لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذُؤيب ، فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمى حيث نسرح ، فيريحون أغنامهم جياعًا وما فيها قطرة لبن ، وتروح غنمى شِباعًا ، لبنًا ، نحلب ما شئنا ، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرا (١) ، فقدمنا به على أمه ، ونحن أضَنُّ شىء به مما رأينا فيه من البَركة ، فلما رأته أمه ، قلنا لها : دعينا نرجع ببنينا هذه السنة ، فإنا نخشى عليه أوباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم ، فسرحته معنا .

---

(١) جفرا : أى قوى الجسم شديداً

* حادثة شق الصدر :

فأقمنا به شهرين أو ثلاثة ، فبينا نحن خلف بيوتنا ، وهو مع أخ له من الرضاعة فى بُهم (١) لنا ، جاءنا أخوه يشتد ، فقال : ذاك أخى القُرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه فشقا بطنه (٢) ، فخرجت أنا وأبوه (٣) نشتد نحوه ، فنجده قائمًا ، منتقعًا لونه (٤) ، فاعتنقه أبوه ، وقال : أى بنى ، ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعانى فشقا بطنى ، ثم استخرجا منه شيئًا فطرحاه ، ثم رداه كما كان ، فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب ، انطلقى بنا ، فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف .

* حليمة ترد محمدًا ﷺ إلى أمه :

قالت : فاحتملناه ، فلم ترع أمه إلاَّ به قد قدمنا به عليها ، فقالت : ما ردكما به ، قد كنتما عليه حريصين ؟! فقلنا : لا والله يا ظِئر (٥) ، إلاَّ أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى علينا ، وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نرده إلى أهله ، فقالت : ما ذلك بكما ، فاصدقانى شأنكما ، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنه لكائن لابنى هذا شأن ، ألا أخبركما بخبره ؟ قلنا : بلى ، قالت : حملت به ، فما حملت حملاً قط أخف منه ، فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعًا ما يقعه المولود ، معتمدًا على يديه ، رافعًا رأسه إلى السماء ، فدعياه (٦) عنكما .

(١) البهم : صغار الغنم .

(٢) فى رواية أخرى عن ابن إسحاق أيضًا أنه نزل عليه كُرْكيان ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجًا أو بردًا أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا كثيرًا انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٨٨ .

(٣) أى أبوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى زوج حليمة السعدية .

(٤) أى تغير لونه انظر ترتيب القاموس ٤ / ٤٣٠ .

(٥) الظئر : تطلق على الذكر والأنثى ، ومعناها فى الأصل : التى تعطف على ولد غيرها وترضعه . انظر ترتيب القاموس ٣ / ١١٩ .

(٦) خطاب للمثنى أى اتركاه ، وهو خطاب لحليمة وزوجها ، والمخاطبة هى السيدة آمنة أم رسول الله ﷺ .

* الرسول ﷺ يُسأل عن نفسه ويجيب :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، فقال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أُمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ فى بهــم لنا ، أتانى رجلان عليهما ثياب بياض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجًا ، فأضجعانى ، فشقا بطنى ، ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا منه علقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلا قلبى وبطنى بذاك الثلج ، حتى إذا أنقياه [١] ، رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزننى [٢] بعشرة ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بألف ، فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنهم ·

حدثنا أحمد قال : نا يُونس بن بُكير عن أبى سنان الشَّيبانى ، عن حَبيب بن أبى ثابت ، عن يحيى بن جَعْدة ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن ملكين جاءانى فى صورة كركيين ، معهما ثلج وماء بارد ، فشرح أحدهما صدرى ، ومجَّ الآخر منقاره ، فغسله [٣] .

* * *

(١) وهذا الخبر يروى عنه ﷺ على وجهين ، أحدهما : أنه شق عن قلبه وهو مع رابّته ومرضعته فى بنى سعد ،وأنه جىء بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه ، والوجه الثانى : أنه غسل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء بعدما بعث بأعوام · وفيه أنه أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغ فى قلبه · وذكر بعض من ألف فى شرح الحديث أنه تعارض فى الروايتين ، وجعل يأخذ فى ترجيح الرواة وتغليط بعضهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين ، الأولى : فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون فى قلبه شىء ، إلا التوحيد ، ولذلك قال : فوليا عنى يعني الملكين - وكأنى أعاين الأمر معاينة · والثانية : فى حال الاكتهال وبعدما نُبِّىء وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدّسة التي لا يصعد إليها إلا مقدّس · وعرج به هناك لتفرض عليه الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقدّس ظاهراً وباطنا وغسل بماء زمزم انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٩٠ ·

(٢) الوزن هنا معنوى ويفيد علو القدر والمنزلة العالية ·

(٣) قال ابن إسحاق وكان رسول الله ﷺ ، يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشي ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ،وذكر ابن هشام أيضًا أن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ يقول وما من نبى إلا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل ١ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) ·

حديث تُبَّع (١) الحِميرى (٢)

* سبب قتاله أهل المدينة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يُونسُ بن بُكير عن ابن إسحق قال : ثم إن تبعًا أقبل من مسيره الذى كان سار يجول الأرض فيه ، حتى نزل على المدينة ، فنزل بوادى قِباء ، فحفر فيها بئرًا ، فهى اليوم تدعى بئر الملك ، وبالمدينة إذ ذاك يهود ، والأوس والخزرج ، فنصبوا له فقاتلوه ، فجعلوا يقاتلونه بالنهار ، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة وإلى أصحابه ، فلما فعلوا ذلك به ليالى استحيا (٣) ، فأرسل إليهم يريد صلحهم ، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له : أُحيحة بن الجَلاح بن حُريش بن جَحجبا بن كلدة بن عَوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخرج إليه من يهود بنيامن القُرظى ، فقال له أحيحة : أيها الملك نحن قومك ، وقال بنيامن : أيها الملك هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها لو جهدت بجميع جهدك ، فقال : ولِمَ ؟ قال : لأنها منزل نبى من الأنبياء ، يبعثه الله عز وجل من قريش ، وجاء تُبَّعا مخبر خبره عن اليمن أنه بعث الله عليها نارًا تحرق كل ما مرت به ، فخرج سريعًا ، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامن وغيره ، وهو يقول :

إِنى نَذَرْتُ يَمينًا غَير ذِى خَلْف ... ألاَّ أَجُوزَ وبَالحِجَازِ مَخْلَد

---

(١) تُبَّع فى لغة اليمن : أى الملك المتبوع ، وتبع هذا هو حسان بن تبان أسعد ، وتبان أسعد : اسم مركب وتبان من التبانة أى الذكاء والفطنة ، يقال رجل تبن أى فطن ، وتبَّع هذا هو تبع الآخر ، وكنيته أبو كرب .

(٢) كان حق هذا الباب أن يأتى فى أول الكتاب نظرًا للترتيب الزمنى للأحداث وكما هو فى سيرة ابن هشام ؛ لأنه سابق لميلاد النبى ﷺ فوجب أن يأتى قبله ليكون الكلام مسلسلا ومرتباً ولكن جاء ترتيبه مؤخراً هكذا فى أصل المخطوطة فآثرنا أن نلتزم بالأصل للأمانة العلمية وإن كان ذكر قبل وإنما هنا فائدة زائدة .

(٣) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله وذلك أنه وجده فى عذق له أى نخله يجـــده (يقطعه) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبَّره (أى أصلحه) فزاد ذلك تبعاً حنقًا (غضبا وحقدًا) عليهم ، فاقتتلوا فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ١٣٣ .

حَتَّى أَتانى مِنْ قُرِيظَةَ عَالِــم   حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فى اليهود مسود
أَلْقَى إلىَّ صِيحةً كَى أَزْدَجر   عَنْ قَرْيَةٍ مَحجُورةٍ بمحَــمد

* كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه:

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان ، من مكة على ليلتين أتاه ناس من هُذيل بن مُدْركة ، وتلك منازلهم ، فقالوا : أيها الملك ألا ندلك على بيت مملوء ذهبًا وياقوتًا وزبرجدًا تصيبه وتعطينا منه ؟ فقال : بلى ، فقالوا : هو بيت بمكة ، فراح تبع وهو مجمع لهدم البيت ، فبعث الله عز وجل عليه ريحًا فقفعت يديه ورجليه ، وشجت جسده ، فأرسل إلى من كان معه من يهود ، فقال : ويحكم ما هذا الذى أصابنى ؟ فقالوا : أحدثت شيئًا ؟ فقال : وما أحدثت ؟ فقالوا أَحدَّثت نفسك بشىء ؟ قال : نعم جاءنى نفر من أهل هذا المنزل الذى رحنـا منه ، فدلونى على بيت مملوء ذهبًا وياقوتًا وزبرجدًا ، ودعونى إلى تخريبه وإصابة ما فيه ، على أن أعطيهم منه شيئًا ، فرأيت لهم بذلك ، فرحت ، وأنا مُجمع لهدمه ، فقال النفر الذين كانوا معه من يهود : ذلك بيت الله الحرام ، ومن أراده هلــك ، فقال : ويحكم فما المخرج مما دخلت فيه ؟ قالوا : تحدث نفسك أن تطوف به كما يصنع به أهله وتكسوه وتهدى له ، فحدث نفسه بذلك ، فأطلقه الله عز وجل وقال فى شعره :

بالدُّفِّ من جَمْدانَ فَوزٌ مُصْعدُ   حَقٌّ أَتانى من هُذَيــل أَعْبَد
ذَكروا إلىَّ البيْتَ ، قَالوا كنْزهُ   دُرٌ وَياقُوتٌ وَفيه زَبَرْجَــد
فَأَرَدْتُ أمرًا حالَ ربِّى دَوْنَــهُ   وَالربُّ يَدْفَعُ عنَ خَرَابِ المَسْجِد

ثم سار حتى دخل مكة ، فطاف بالبيت ، وسَعى بين الصَّفا والمروة ، فأُرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ، وكان أول من كساه ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافرى ، ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الوصائل ، وصائل اليمن ، وأقام بمكة ستة أيام - فيما ذكر لى - ينحر بها للناس ، ويطعم من كان بها من أهلها ويسقيهم العسل ، قال : فكان تبع فيما ذكر لى أول من

---

(١)هى حصر تصنع من سعف النخيل والليف ، والخصف جمع خصفة ، ويروى أن تبعًا لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصيف ، فلما كساه الملأ والوصال قبلها ، والملأ جمع ملاءة وهى الملحفة ، والوصال ثياب موصولة من ثياب اليمن . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢١ .

كساه وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ، [١] ولا يقربوه ميتة ، ولا دمًا ولا مثلانا [٢] - وهو المحائض - وجعل له بابًا ومفتاحًا ، وقال تُبَّع فى الشعر :

وَنَحرنَا بالشِّعْبِ ستَّة ألف ... تَرى النَاسَ نحْوهنَّ وُرودَا
وَكَسَونَا البيتَ الذى حَرَّمَ اللهُ ... مَلاءً مُعَضَّـــداً وَبُرودا
وَأقمنَا بِها مـن الشَّهرِ ستا ... وَجعلنا لبَابِـــه إقْليدا
وَأمَرْنَا به الجُرهميين خَيرًا ... وَكانوا لحَافتيـــه شهُودا
وَأمْرنا ألاَّ يَقْربنَّ مثلانا ... وَلا ميتًا ولا دمًا مَفْصُـــودا
ثُمَّ سِرنا نَؤمُّ قَصْدَ سُهَيلٍ ... قَد رَفَـــعنَا لِوَاءَنا مَعقُودَا

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فلما أراد الشخوص إلى اليمن ، أراد أن يخرج حِجْر الركن ، فيخرج به معه ، فاجتمعت قريش إلى خُويلد ابن أسد بن عبد العُزى بن قُصى ، فقالوا : ما دخل علينا يا خُويلد إن ذهب هذا بحجرنا ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه ، فقال خُويلد : الموت أحسن من ذلك ، ثم أخذ السيف ، وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعًا ، فقالوا : ماذا تريد يا تبع إلى الركن ؟ فقال : أردت أن أخرج به إلى قومى ، فقالت قريش : الموت أقرب من ذاك ، ثم خرجوا حتى أتوا الركن ، فقاموا عنده ، فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلك ، فقال خويلد فى ذلك شعرًا :

دَعينى أُمَّ عَمْـــرٍو لا تَلُومِى ... وَمَهْلاً عَاذِلى لاَ تُعْـــذِلينى

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة ، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

(٢) مثلانا : أى خرقة المحيض وتسمى أيضًا مثلاة وجمعها مآلى ، ولم يقصد النساء الحيَّض لأن حائضًا لا تجمع على محائض ومفرد حيض : محيضة .

دَعِينى لاَ أَخذتُ الخسفَ مِنْهُم ... وَبيتُ اللهِ حَتى يَقْتُلُونى
فَما عُذْرى وَهَذا السَّيفُ عِنْدِى ... وَعَضْبٌ نَال قَائمهُ يَمينى
وَلكِنْ لَم أَجِد عَنها مَحيداً ... وَإنى رَاهِق مَا أَرْهَقونِى

* أصل اليهودية باليمن :

حدثنا أحمد قال : حدثنا يُونسُ عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج متوجِّها إلى اليمن بمن معه من جنوده ، حتى إذا قدمها ، وكان لأهل اليمن مدينتان يقال لإحداهما مأرب ، والأخرى ظِفار ، وكان منزل الملك فى مأرب مبنيًّا بصفائح الذهب ، وكان منزله فى ظفار مبنيا بالرخام ، وكان إذا شتى ، شتى فى مأرب ، وإذا صاف ، صاف فى ظفار ، وكانت مأْرب بها ينشأ أبناء الملوك ويتعلمون الكلام ، وكان ابن الحميرى إذا بلغ قال : أرسلوا به إلى مأرب يتعلم المنطق ، وكان فى ظفار اصطوان من البلد الحرام مكتوب فى أعلاها بكتاب من الكتاب الأول : لمن الملك ، ظفار ، لحمير الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لفارس الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لقريش التجار ، فلما قدمها تبع ، نشرت يهود التوراة ، وجعلوا يدعون الله عز وجل على النار حتى أطفأها الله عز وجل .

* هدم البيت المسمى رئام :

وكان لأهل اليمن شيطان يعبدونه ، قد بنوا له بيتًا من ذهب ، وجعلوا بين يديه حِياضًا ، فكانوا يذبحون له فيها ، فيخرج ، فيصيب من ذلك الدم ، ويكلمهم ، ويسألونه ، فكانوا يعبدونه (١) ، فلما أطفأت يهود النار قالوا لتبع : إن ديننا هذا الذى نحن عليه خير من دينك ، فلو أنك تابعتنا على ديننا ، فقد رأيت أن إلهك هذا لم يغن عنك شيئًا ، ولا عن قومك عند الذى نزل بكم ، فقال تُبع : فكيف نصنع به ونحن نرى منه ما ترون من الأعاجيب ؟ قالوا : أفرأيت إن أخرجناه عنك تتبعنا على ديننا ؟ قال : نعم ، فجاءوا إلى باب ذلك البيت ، فجلسوا عليه بتوراتهم ثم جعلوا يذكرون أسماء الله عز وجل ، فلما سمع ذلك الشيطان ، لم يثبت

---

(١) فلما جاء الحَبران مع تُبَّع نشرا التوراة عنده ، وجعلا يقرآنها ، فصار ذلك الشيطان حتى وقع فى البحر .

وخرج جهاراً حتى وقع فى البحر ، وهم ينظرون ، وأمر تبع ببيته الذى كان فيه ، فهدم ، وتهود بعض ملوكِ حمير ، ويزعم بعض الناس أن تبعًا قد كان تهوَّد (١) .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن زكريا بن يحيى المدَنى قال : حدثنا عِكرمة قال: سمعت ابن عباس يقول : لا يشبهن عليكم أمر تبع ، فإنه كان مُسلمًا .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وكان رِئام بيتًا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ويُكلَّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتُبَّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلٍّ بيننا وبينه ، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق . السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل - بيروت ١ / ١٤١ .

مَقْتَلُ تُبَّعٍ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يُونسُ بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما فعل تبع ما فعل ، غضبت ملوك حمير ، وقالوا : ما كان يرضى أن يطيل غزونا ، ويبعدنا فى المسير من أهلينا حتى طعن أيضًا فى ديننا وعاب آباءنا ، فاجتمعوا على أن يقتلوه ، ويستخلفوا أخاه (١) من بعده ، فاجتمع رأى الملوك على ذلك كلهم إلا ذا غَمدان (٢) فإنه أبى أن يمالئهم على ذلك ، فثاروا به ، فأخذوه ليقتلوه فقال لهم : أتراكم قاتلى ؟ قالوا : نعم ، قال : أما أنا فإذا قتلتمونى فادفنونى قائمًا ، فإنه لن يزال لكم ملك قائم ما دمت قائمًا ، فلما قتلوه ، قالوا : والله لا يملكنا حيًّا وميتا ، فنكسوه على رأسه ، فقال فى ذلك ذو غَمدان ، فى الذى كان من أمره :

* **ذُو رُعيْن يرى تبعًا :**

إن تَكُ حمير غَدَرَتْ وَخَانَتْ ... فَمَعذرَةَ الإله لِـذى رُعَيْنِ
أَلا مَنْ يَشْتَرى سَهـرًا بنَوم ... سَعيد مَنْ يَبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

* **عمرو يرثى أخاه تبعا :**

وقال فى ذلك عبد كلال (٣) بعد قـتل أخيه واسـتخلافهم إياه حين قتَل وجوه حمير :

شَفيتُ النَّفسَ ممَّن كَان أَمْسَى ... قَرِيرَ العَيْنِ قَد قَتلوا كَرِيمِى
فَلما أَنْ فَعلْتُ أَصابَ قَلْبى ... بِما قَدْ جِئْت مِنْ قَتْلِ رَغِيمِ
أَشَارُوا لِى بِقَتْلِ أخٍ كَرِيمٍ ... وَلَيس لذى الضَّرائبِ باللَّئيم
فَعُدْتُ كَأَنَ قَلْبِى فِى جَنَاحٍ ... بِعَيْشٍ لَيْسَ يَرْجِعُ فى نَعيمِ
وَعَادَ القَلْبُ كالمجنونِ يَنْمِى ... إِلى الغَايَاتِ لَيْسَ بِذى حَميمِ

---

(١) ذُكر أن أخاه هذا اسمه عمرو .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه ذو رُعَين وليس ذو غمدان ، ذو رُعين تصغير رَعن ، والرَّعنُ : أنف الجبل ، ورعين جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين . انظر السيرة لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣ .

(٣) أخى تُبع الذى ولُّوه عليهم بعد مقتل تبع ، وسبق الإشارة إلى أن اسمه عمرو .

فَلمَّا أَنْ قَتَلْتُ بِـــه كِرَامًا ... وَصَارُوا كُلهـــم كَالمسْتَلِيمِ
رَجَعْتُ إلى الَّذِى قَدْ كَانَ مِنِّى ... كَأَنْ القَلْبَ لَيْسَ بذِى كَــلوم
جَزَى رَبُّ البَرِيَّةِ ذَا رُعَـــين ... جَزَاءَ الخُلْد مِـــنْ دَاعٍ كَرِيمِ
فَإِنِّى سَـــوْفَ أَحفَظُهُ وَرَبِّى ... وأُعْطِيهِ الطَّرِيـــفَ مَعَ القَدِيمِ

وقال عبد كلال أيضًا يرثى أخاه:

أَطَعْتُ القَوْمَ إِذْ غَشُّوا جَمِيعًا ... وَقَد اتُّهِمْتُ فِى غِشٍّ النَّصِيحِ
ولَو طَاوَعْتُ فِـــى رَأْيِى رُعَيْنًا ... لَقُلْتُ له وَقَـــولى ذُو نَدُوحِ
فَلمْ أَرْفَع بِقَوْلِه لِـــى كَلامًا ... وَعُدْتُ كَأَنَّنى عَبْـــد أَسِيح
فَلما أَنْ قَبِلْتُ القَـــولَ مِنْهُ ... عَلى الأَرْوَاحِ مِنْ حَقٍّ الفُضُوح
فَمَنْ أَمسَى يُطَـــاوِعُنى فَإِنِّى ... سَأَجْهَدُ فِى المَقَالِ بِه أَبُوح
فَلما أَنْ لَقِيتُـــهُمْ أَقَامتْ ... لذاك النَّفْسُ فِى هَمٍّ مَرِيح

* * *

* هلاك عمرو وتفرق تُبع :

ثم استخلفوا أخًا له ، يقال له عبد كلال ، فزعموا أنه كان لا يأتيه النوم بالليل ، فأرسل إلى من كان ثَم من يهود ، فقال : ويحكم ، ما ترون شأنى ؟ فقالوا: إنك غير نائم حتى تقتل جميع من مالأك على قتل أخيك ، فتتبعهم ، فقتل رؤوس حمير ووجوههم » (١) .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن مُنع منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة (المنجمين) من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغيًا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه ، وسُلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره يقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، وهلك عمرو ، فمرج (أى اختلط) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا . انظر السيرة النبوية لابن هشام دار الجيل تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٤٣ وإذا كان هناك تكرار فنحن نذكر أكثر من رواية لفائدة زائدة .

*** ابتداء مُلك الحبشة :**

ثم خرج ابن لتبع يقال له دَوس (١) ، حتى أتى قيصر ، فهو مثل فى اليمن يضرب بعد : « لا كَدَوْس ولا كمعلق رَحْله » فلما انتهى إلى قيصر ، دخل عليه ، فقال له : إنى ابن ملك العرب ، وإن قومى عدوا على أخى (٢) فقتلوه ، فجئت لتبعث معى من يملك لك بلادى ، وذلك لأن ملكهم الذى ملكهم بعد أبي قد قتل أشرافهم ورؤوسهم ، فدعا قيصر بطارقته فقال : ما ترون فى شأن هذا ؟ قالوا : لا نرى أن تبعث معه أحدًا إلى بلاد العرب ، وذلك لأنا لا نأمن هذا عليهم ليكون إنما جاء ليهلكهم ، فقال قيصر فكيف أصنع به وقد جاءنى مستغيثًا ؟ قالوا : اكتب له إلى النَّجَاشى ملك الحبشة ، وملك الحبشة يدين لملك الروم .

*** النجاشى ينصر دوسًا :**

فكتب له إليه ، وأمره أن يبعث معه رجالاً إلى بلاده ، فخرج دوس بكتاب قيصر حتى أتى به النجاشى ، فلما قرأه نخر وسجد له ، وبعث معه ستين ألفًا واستعمل عليهم روزبة (٣) ، فخرج فى البحر ، حتى أرسى إلى ساحل اليمن .

* * *

فخرج عليهم هو وقومه ، فخرجت عليهم حمير (٤) – وحمير يومئذ فرسان أهل اليمن – فقاتل أهل اليمن قتالا شديدًا على الخيل ، فجعلوا يكردسونهم كَراديس ، ثم يحملون عليهم ، فكلما مضى منهم كردوس تبعه آخر ، فلما رأى ذلك روزبة قال لدوس : ما جئت بى ههنا إلا لتجزرنى قومك ، فأبدأن بك فلأقتلنك قبل

---

(١) ليس ابن تبع ، والدليل ما ذكره ابن هشام أن ابن إسحاق قال عنه إنه رجل من سبأ يقال له . دوس ذو ثعلبان ، انظر مختصر سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١ / ٣٦ .

(٢) هنا لَبْس بيِّن ؛ لأن دوس لو كان ابن تبع حقا لقال هنا « عمى » أو « أبى » بدلاً من « أخى » .

(٣) ذكر ابن هشام أن اسمه أرياط . السيرة النبوية لابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٣١ .

(٤) ذكر أن ذا نواس هو الذى تزعم حمير يومئذٍ ضد أرياط وأبرهة وجنودهما . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٣٦ .

أن أُقتل ، قال : لا تفعل أيها الملك ، ولكن أُشير عليك فتقبل منى ، قال : نعم فأشر على ، قال له دوس : أيها الملك ، إن حمير قوم لا يقاتلون إلاَّ على الخيل ، فلو أنك أمرت أصحابك ، فألقوا بين أيديهم ترسهم ودرقهم ، ففعلوا ذلك ، فجعلت حمير تحمل عليهم فتزلق الخيل على الترسة والدَّرْق ، فتطرح فرسانها ، فيقتل الآخرون ، فلم يزالوا كذلك حتى دقوا ، وكثرهم الآخرون وإنهم ساروا حتى دخلوا صنعاء ، فملكوها وملكوا اليمن (١) ، وكان فى أصحاب روزبة رجل يقال له أَبْرَهة بن الأَشْرم (٢) ، وهو أبو يكسوم ، فلما ملكوا اليمن ، قال أبرهة لروزبة : أنا أولى بهذا الأمر منك ، فقال الآخر : وكيف ، والملك بعثنى ؟ قال : وإن كان الملك بعثك ، فأنا أولى بهذا الأمر منك ، ففاته الآخر ، واتبع أبرهة ناس من قومه ، فخرجوا للقتال ، فلما تواقفوا ليقتتلوا ، قال أبرهة لروزبة : ما لك ولأن نفنى الحبشة ، فيذهب ملكنا من هذه البلاد ، اخرج ، فأينا قتل صاحبه كان الملك ، فقال الآخر : نعم ، وكان روزبة رجلاً جسيما ، وكان أبرهة رجلاً حادرًا قصيرًا ، فقال أبرهة لغلام (٣) له : إذا خرجت إليه لأبارزه ، فائته من خلفه فاقتله ، فإن أصحابه لن يزيدوا على أن يفروا ، ولك عندى ما سألتنى من ملكى ، فلما خرجا سل روزبة على أبرهة سيفه ، فضربه ضربة وسط رأسه بالسيف ، وضربه غلام أبرهة من خلفه فقطعه باثنتين ، فاحتمله أصحابه ، واحتمل هذا أصحابه ، ثم إنهم اصطلحوا على أبرهة ، ولم يكن فيهم بعد صاحبهم مثله ، وبلغ ذلك النجاشى ، فكتب إليه يتهدده ، فحلق أبرهة رأسه ، وأخذ ترابًا من تراب أرضه ، فبعث به إليه وقال : أيها الملك ، هذا رأسى وتراب أرضى ، فهو تحت قدميك ، وإنما كنت أنا ورُوزَبَة عَبْدَيك ، فرأيت أنى أقوى على أمر الملك منه ، فلذلك فعلت ما فعلت ، فكتب إليه النجاشى بالرضى ، وأقره على ملكه .

ثم إن أبرهة بن الأشرم ، وهو أبو يَكْسُوم ، بنى كعبة باليمن (٤)

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن أرياط أقام بأرض اليمن سنين فى سلطانه انظر السابق ١/ ٣٧ .

(٢) سُمى بذلك لشرم أنفه وشفته أى شقهما .

(٣) قيل اسم هذا الغلام : عَتْودة أى شديد فى الحرب .

(٤) هى كنيسة القُلَّيس التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، ويقال تقلنس الرجل إذا لبس القلنسوة ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخرة=

وجعل عليها قبابًا من ذهب ، وأمر أهل مملكته بالحج إليها ، يضاهى بذلك البيت الحرام .

* * *

= وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس - صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان قريبا من موضع الكنيسة ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها ، وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن ونصب فيها صلبانًا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس ، وكان حكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنهـــا ، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك ، وغدًا لغيرك . انظر الروض الأنف تحقيـــق طه عبد الرءوف ســـعد ١ / ٦٣ .

حادث الفيل (١)

* إحداث الكنانى فى الكنيسة وانتقام أبرهة

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : وإن رجلاً من بنى ملْكَان بن كِنانة ، وهو من الحُمس (٢) ، خرج حتى قدم أرض اليمن ، فدخلها (٣) ، فنظر إليها ، ثم قعد فَخَرِى فيها (٤) ؛ فدخلها أبرهة ، فوجد تلك العذرة فيها ، فقال : من اجترأ علىَّ بهذا ؟ فقال له أصحابه : هذا رجل من أهل ذلك البيت الذى يحجه العرب ، قال : فعلىَّ اجترأ بهذا ، ونصرانيتى لأهدمنَّ ذلك البيت ولأخربنه حتى لا يحجه حاج أبدًا ، فدعا بالفيل ، وأذن فى قومه بالخروج ، ومن اتبعه من أهل اليمن ، وكان أكثر من تبعه من عك والأشعريون ، وخثعم ، فخرجوا وهم يرتجزون :

إِنَّ البَلَدَ لَبلدٌ مَأْ كُولْ ... يَأكله عَكٌّ وَالأشْعَرِيونَ وَالفِيلْ

* * *

* ما حدث بين نُفَيْل وأبرهة :

فخرج يسير ، حتى إذا كان ببعض طرقه ، بعث رجلاً من بنى سُلَيْم ، ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه ، فتلقاه أيضًا رجل من الحمس ، من بنى كِنانة ، فقتله ، فازداد بذلك - لما بلغه - حنقًا وحردا ، وأحث السير والانطلاق ، حتى إذا أشرف على وادى وَجٍّ من الطائف ، خرجت إليه ثَقيف فقالوا : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، وليست ربتنا هذه بالتى تريد - يعنون اللات صنمهم - وليست بالتى تحج إليها العرب ، وإنما ذلك بيت قريش ، الذى تجىء إليه العرب ، قال : فابغونى

---

(١) نذكر القصة مرة أخرى من رواية يونس بن بكير وقد ذكرت سابقا من رواية ابن هشام لفائدة زائدة .

(٢) الحمس هم المتشددون في العبادة . .

(٣) أى دخل الكنيسة التى بناها أبرهة .

(٤) أى أحدث فيها - تبرز وعبر هنا ابن هشام بقوله قعد فيها .

دليلا يدلنى عليه ، فبعثوا معه رجلاً من هذيل ، يقال له نُفيل [١] ، فخرج بهم يهديهم ، حتى إذا كانوا بالمغمَّس [٢] ، نزلوا المغمَّس من مكة على ستة أميال ، فبعثوا مقدماتهم إلى مكة [٣] ، فخرجت مكة عباديد فى رؤوس الجبال ، وقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء القوم ، فلم يبق بمكة أحد إلاَّ عبد المطلب بن هاشم ، أقام على سقايته ، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار ، أقام على حجابة البيت ، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتى الباب ، ثم يقول :

اللَّهُمَّ إنَّ المرءَ يَمْـــنـعُ حلَّهُ فَامْنَعْ حلاَلَكْ

لاَ يَغْلِبُوا بِصَلِيبِــهِــمْ وَمَحالُهُمْ غَدْرًا مِحَالَــكْ

إنْ يَدْخُلوا البَلَدَ الحَرَامَ غَدًا فَأَمْرٌ مَا بَــدا لَكْ

يقول : أى شيد ما بدا لك ، لم تكن تفعله بنا ، ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نَعمًا لقريش ، فأصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، فلما بلغه ذلك ، خرج حتى انتهى إلى القوم ·

* * *

* رسول أبرهة إلى مكة :

وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعريين [٤] ، وكانت له بعبد المطلب معرفة قبل ذلك ، فلما انتهى إليه عبد المطلب ، قال له الأشعرى : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتى أن تستأذن لى على الملك ، فدخل عليه حاجبه ·

---

(١) ذكر بعض الرواة عن ابن إسحاق أن اسمه أبو رغال انظر السيرة النبوية لابن هشام ط · دار الجيل ١ / ١٦٦ ·

(٢) المغمس : النبات الأخضر الذى ينبت فى الخريف تحت اليابس ، المغمَّس : المكان المستور إما بهضاب وإما بعضاه ويؤيد ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه « كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمَّس » أى استتر بعيداً ، وكذلك حديث « كان ﷺ إذا أراد البراز أبعد » · انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ٦٨ ·

(٣) ذكر أن أبرهة لما نزل المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود حتى سار ، إلى مكة وكان النجاشى قد بعثه مع الفيلة والجيش · انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٤٢ ·

(٤) اسمه حناطة الحميرى ·

فقال له : أيها الملك ، جاءك سيد قريش الذى يطعم أنيسها فى السهل ووحوشها فى الجبل ، فقال : ائذن له ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيمًا جميلا ، فأذن له ، فدخل عليه ، فلما أن رآه أبو يكْسوم ، أعظمه أن يجلسه تحته ، وكره أن يجلسه معه على سريره ، فنزل من سريره ، فجلس على الأرض ، وأجلس عبد المطلب معه ، ثم قال : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتى مائتا بعير ، أصابتها مقدمتك ، لى ، فقال أبو يكسوم : والله لقد رأيتك فأعجبتنى ، ثم تكلمت فزهدت فيك ، فقال له : ولمَ أيها الملك ؟ قال : لأنى جئت إلى بيت هو منعتكم من العرب ، وفضلكم فى الناس ، وشرفكم عليهم ، ودينكم الذى تعبدون ، فجئته لأكسره ، وأصيبت لك مائتا بعير ، فسألتك عن حاجتك ، فكلمتنى فى إبلك ، ولم تطلب إلىَّ فى بيتكم ! فقال له عبد المطلب : أيها الملك ، إنما أكلمك فى مالى ، ولهذا البيت رب هو يمنعه ، لست أنا منه فى شىء ، فراع ذلك أبا يكسوم ، وأمر برد إبل عبد المطلب عليه ، ورجع عبد المطلب .

* * *

* أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له ولفيله وجنوده :

وأمسوا فى ليلتهم تلك ، فأمست ليلة كالحة ، نجومها كأنما تكلمهم كلاما ، لاقترابها منهم ، وأحست أنفسهم بالعذاب ، وخرج دليلهم حتى دخل الحرم ، وتركهم ، وقام الأشعريون وخَثْعَم ، فكسروا رماحهم ، وسيوفهم ، وبرئوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت ، فباتوا كذلك بأخبث ليلة ، ثم أدلجوا بسحَر ، فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبِّحوا مكة ، فوجهوه إلى مكة ، فربض ، فضربوه فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك حتى كادوا يصبحون ، ثم إنهم أقبلوا على الفيل ، فقالوا : لك الله ألا نوجهك إلى مكة ، فجعلوا يقسمون له ، ويحرك أذنيه ، يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا من القسم ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن راجعًا ، فتوجه يهرول ، فعطفوه حين رأوه منطلقًا ، حتى إذا ردوه إلى مكانه الأول ، ربض وتمرغ ، فلما رأوا ذلك ، أقسموا له ، وجعل يحرك أذنيه يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن ، فتوجه يهرول ، فلما رأوا ذلك ردوه ، فرجع معهم حتى إذا كان فى مكانه الأول ، ربض فضربوه ، فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك ،

فعالجوه ، حتى كان مع طلوع الشمس ، طلعت عليهم الطير معها ، وطلعت عليهم طير من البحر أمثال اليحامـــيم سُود [(١)] ، فجعلت ترميهـم وكل طائر فى منقاره حجر [(٢)] ، وفى رِجْلَيه حَجران ، فإذا رمت بتلك مضت ، وطلعت أخرى ، فلا تقع حجرة من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقته ، ولا عظم إلاّ أوهاه ونقبه .

وثار أبو يكسوم راجعًا ، قد أصابته بعض الحجارة ، فجعل كلما قدم أرضًا انقطع منه فيها أرب(عضو) ، حتى إذا انتهى إلى اليمن ، ولم يبق منه شيء إلا أباده ، فلما قدمها انصدع صدره ، وانشق بطنه ، فهلك ، ولم يصـب من الأشعريين وخَثعم أحد .

ولما فزعوا إلى دليلهم ذلك ، يسألون عنه ، فجعلوا يقـولون : يا نُفيـل ، يا نُفيل ، وقد دخل نُفيل الحرم ، ففى ذلك يقول نُفيل :

أَلاَ رُدِّى جمـالك يَا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُم مَـع الإصْبَاحِ عَيْنَا
فَإنكَ لَو رَأيْـتِ ، وَلَنْ تُرِيه ... إلى جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأينَا
إذًا لَخشيته وَفَزِعْـتِ مِنْهُ ... وَلم تأْسِى عَلى مَا فات عَيْنَا
خشيْت اللهَ لَمـا رَأيْت طَيرًا ... وَقَذْف حـجَارَة تُرْمَى عَلينَا
وَكُلُّهمُ يُسَائِـل عَن نُفَيل ... كَأن عَليَّ لِلحبْشَان دَيْنَا [(٣)]

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

أَنْتَ حَبَسْتَ الفِيَلَ بالمُغَمَّـسْ ... أَهْلَكْتَ أبا يكْسُومُ والمُغَلَّس
كَردستهم وأَنْت غَيْر مُكَرْدَسْ ... تُدْعِسُهُمْ وَأَنْتَ غَيْرَ مُدَعَّسْ

وقال عبد المطلب ، وهو يرتجز ويدعو على الحبشة :

يَا رَبِّ لاَ أَرجُو لَهم سِوَاكَا ... يَا رَبِّ فَامْنَع مِنهم حِمَاكَا

---

(١) ورد فى وصف هذا الطير أيضًا أنه أمثال الخطاطيف والبلسان وهما نوعان من أنواع الطيور ، وذكرا أيضا أن الطير كانت لها أنياب كأنياب السبع وأكف كأكف الكلاب .

(٢) فى رواية أخرى أن الحجر مثل الحمص والعدس ولكن فى الشكل فقط .

(٣) ورد أن نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته قال :

أين المفر والإلهُ الطالب ... والأشرم المغلوب ليس الغالب

إنَّ عَدو البَيْتِ مَنْ عَادَاكا   إنهم لَنْ يَقْهَـــروا قِوَاكَا

وقال عبد المطلب حين انصرفوا :

مَنَعْتُ الأَرضَ التــــى حُمِيَتْ   من اللِّئام فَلم تُخْلَقَ لَهم دَارا
مَنعتُ مكَّةَ منهـــم إننى رَجُلٌ   ذَو أسرة لم نكن فى الحُب غَدَّارَا
إذ قلتُ يَا صَاحِب الحبْشَان إن لنا   منْ دونِ أن يُهْدَم المعمُور أَخْطَارَا
فَسار فى جَيْشِه بِالفيلِ مُقْتَدرًا   وَسِرْتُ مُسْتَبْسلا للَموت صَبَّارَا
فِى فِتيَةٍ من قُرَيْش لَيْسَ مَيِّتُهم   بِمورث حَيِّهـــم شَيْنًا وَلا عَارَا

حدثنا أحمد ، نا يُونُس بن بُكير ، عن عبد الله بن عــون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن عباس فى قوله : ﴿ **وأرسل عليهم طيرًا أبابيل** ﴾ (١) ، قال: طير لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

حدثنا أحمد قال : نا أبى ، ويونُس جميعًا ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ابن عبد الرحمن بن أسباط ، عن عُبيد بن عُمير : ﴿ **وأرسل عليهم طيرًا أبابيل** ﴾ قال : طيرًا أقبلت من قبل البحر كأنها رجال الهند : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل**﴾(٢) . أصغرها مثل رؤوس الرجال ، وأعظمها مثل الإبل الهزل ، وما رمت أصابت ، وما أصابت قتلت ، وزاد فيه أبى : الأبابيل المتتابعة ، ما أرادت أصابت ، ما أصابت قتلت .

حدثنا أحمد قال: نا يونُس عن ابن إســـحاق ، قال : حـــدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : لقد رأيت قائد الفيل ، وسائسه أعميين مقعدين ، يستطعمان بمكة .

حدثنا أحمـــد ، نا يونس عن ابن إســـحاق قال : حدثنى يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس قال : حدِّثت أنه أول ما رُؤى فى أرض العرب : الحصبة ،

(١) سورة الفيل : الآية ٢ .   (٢) سورة الفيل : الآية ٣ .

والجُدْرى ، ومرائر الشجر (١) من العشر (٢) والحرمل وأشباه ذلك ، عام الفيل .

*** وفاة السيدة آمنة بنت وهب :**

حدثنا أحمد : نا يونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : قدمت آمنة بنت وهب ، أم رسول الله ﷺ ، برسول الله ﷺ على أخواله من بَنى عَدِى بن النجَّار بالمدينة ، ثم رجعت به ، حتى إذا كانت بالأبواء هلكت بها ، ورسول الله ﷺ ابن ست سنين .

*** كفالة عبد المطلب محمدا ﷺ :**

حدثنا أحمد : نا يونُس ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب ، فحدثنى العباس بن عبد الله بن معْبد ، عن بعض أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فراش فى ظل الكعبة ، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله ﷺ يأتى حتى يجلس عليه ، فيذهب أعمامه يؤخِّرونه ، فيقول جده عبد المطلب : دعوا ابنى ، فيمسح على ظهره ، ويقول : إن لِبُنَى هذا شأنا ، فتوفى عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثمانى سنين ، بعد الفيل بثمانى سنين .

حدثنا أحمد : نا يُونُس ، عن ابن إسحاق قال : نا عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : ذهب رجل بصنعاء يحفر خَرِبة من خربها لبعض ما ينتفع به الناس ، فكشف عن عبد الله بن الثامر ، قاعدًا يده على شجة برأسه موضوعة ، إذا أخروا يده عنها ، نبعت دمًا ، وإذا أرسلوها ردها فوضعها عليها ، فى يده خاتم ، نقشه (ربى الله) ، فكتب فى ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب أن : اردُدوا عليه ما كان عليه ، وأقروه - حدثنا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : وكان على دين عيسى عليه السلام (٣) .

---

(١) مرائر الشجر : الشجر المر . (٢) العُشر : شجر مر أيضًا .

(٣) سبق أن ذكرت هذه الرواية فى أول الكتاب تحت عنوان « عبد الله بن الثامر يدعو للتوحيد » من رواية ابن هشام وذكرناها هنا من رواية يونس رحمهما الله تعالى .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس [١] بن بُكير عن أبى خلدة خالد بن دينار قال : نا أبو العالية قال : لما فتحنا تَستُر ، وجدنا فى بيت مال الهُرْمُزَان سريرًا عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبًا [٢] ، فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبى العالية: ما كان فيه ؟ فقال: سيرتكم وأموركم ، ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعدُ ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس، لا ينبشونه ، قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حُبست عليهم ، برزوا بسريره فيمطرون ، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دَانيال ، فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال :منذ ثلاثمائة سنة، قلت : ما كان تغير بشىء ؟ قال : لا ، إلاَّ شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع .

* وفاة عبد المطلب ورثائه :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما حضرت عبد المطلب الوفاة ، قال لبناته : ابكين حتى أسمع كيف تقلن ، وكن ست نسوة ، وهن: أميمة ، وأم حكيم ، وبَرَّة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى فقالت أميمة :

أَلاَ هَلَكَ رَاعِى العَشِير ذُو العُقَدْ ... وَسَاقِى الحَجِيج المُحَامى عَن الحَمدْ
وَمَنْ يُؤَلِّف الجارَ الغَرِيبَ لِبَيته ... إذَا مَا سَماءُ البيت تَبْخَل بَالرَّعَدْ

وقالت عاتكة :

أَعَيَنَىَّ جُـودَا ولا تَبْخَلا ... بِدَمْعكُما بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ
أَعَيْنى وَاسحنْفِرَا وَاسْكُبَا ... وَشَوبا بُكاء كمَا بالنِدامْ
عَلى الجَحْفَل الغمر فى النَائبا ... تِ كَرِيم المساعى وفـىُّ الذِّمَامْ
عَلى شَيْبَة الحَمْدِ وَارِى الزِّنَادِ ... وَذِى مُصْدِق بَعد ثَبْت المقامْ

وقالت صفية :

أَرِقْتُ لِصَوتِ نَائِحَةِ بليل ... عَلى رَجُل بقَارِعَةِ الصَّعِيدِ

---

(١) بمعنى حدثنا ، أنا بمعنى أخبرنا ، ثنا : حدثنا ، ثنى : حدثنى ، وهى من رموز علم مصطلح الحديث ، راجع فى ذلك هدى السارى لابن حجرتحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢)هو سيدنا كعب الأحبار كان من علماء اليهود فأسلم وكان على علم ودراية بالديانات

فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَالِكُمُ دُمُوعِى عَلى خَدِّى كَمُنْحَدِرِ الفَرِيد
عَلَى الفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى المَعَالِى أَبِيكِ الخَيْرِ وَارِث كُلِّ جُود
طَوِيل البَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِى مُطَاعٍ فِى عَشِيرَتِهِ حَمِيدْ
عَظِيمُ الحِلْمِ مِنْ نَفَرٍ كِرَامٍ خَضَارِمَةٌ مَلاوِثة أُسُود

وقالت البيضاء أم حكيم ، والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وكانت البيضاء عند كريز بن رَبيعة بن حَبِيب بن عبد شمس فولدت له عامرًا وأروى :

أَلا يَا عَيْنُ جُودِى وَاسْتَهِلِّى وبكى ذا الندى والمكرُماتِ
أَلا يَا عَيْنُ وَيْحكَ أَسْعِفِينِى بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطِلاَتِ
فَبكى خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا أَبَاكِ الخَيْرَ تَيَّارَ الفُرَاتِ
طَوِيلُ البَاعِ شَيْبَةَ ذَا المعَالى كَرِيمُ الخَيم مَحْمود الهِبَاتِ
وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هَبْرزِيًّا وغيَّاثًا فى السِّنِين المُمْحِلاَتِ
فَبكيه وَلا تسمى بحُزْنٍ وَبكى مَا بكَينَ البَاكِيَاتِ

وقالت بَرَّه :

أَعَيْنَى جُودَا بِدَمْعٍ دُرَرْ عَلَى طَيِّبِ الخَيْمِ والمعْتَصَرْ
عَلَى مَاجِدِ الجَد وارى الزِّنَا دِ جَمِيل المُحَيَّا عَظِيم الخَطَرْ
عَلَى شَيْبَةِ الحَمْدِ ذِى المكْرَمَا تِ وَذِى المجد والعزِّ والمفْتَخَر
وذى الفَضْلِ والحِلْمِ فى النَائبا تِ كَثِير المكَارِمِ جَم الفَخَرْ
لَه فَضْل مَجْدٍ عَلَى قَوْمِه مُبِيْن يَلوحُ كَضَوْءِ القَمَرْ
أَتَتْه المنَايا (١) فَلَم تسؤْه بَصَرْفِ اللَّيالِى وَرَيبِ القَدَرْ

وقالت أَرْوَى :

بكَتْ عَيْنى وَحقَّ لهَا البُكَاءُ عَلى سَمْحٍ سَجِيَّتُه الحَيَاءُ
عَلى سَهْلِ الخَلِيقَةِ أَبْطَحِىٌّ كَرِيمُ الجَد نِيَّتُهُ العَلاءُ
عَلى الغَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى المَعَالى أَبِيكِ الخَيْر لَيس لَه كِفَاءُ

(١) أى الموت .

طَوِيْل البَاعِ أَمْلَس شَيْظَمى أَغَر كَأَن غرَّتَــه ضِيَاءُ
ومْعقِل مالـــك وَرَبِيعُ فِهر وَفَاصِلُهَا إذا التَبسَ القَضَـــاءُ

* * *

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ومات عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثمانى سنين ، فلم يُبك أحد كان قبله بكاه ·

* ولاية زمزم والسقاية بعد عبد المطلب :

وولى زمزم والسقاية من بنى عبد المطلب بعده العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ أحدث إخوته سنًّا ، فلم تزل إليه حتى قام الإســلام وهى بيده ، فأقرها رســول الله ﷺ على ما مضى ، فهى إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم (١) ·

حدثنا أحمد قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : ولما هلك عبد المطلب ، كانت الرئاسة بعده والشرف والسن فى قومه بنى عبد مـــناف لحرب بن أميـــة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأطعم الناس ، وحاط العشيرة ، وشرف قومه ، ونصب قبة بمكة للضيف ، يطعم فيها من جاءه ·

* * *

* عبد المطلب يوصى أبا طالب برعاية محمد ﷺ (٢)

وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى أبا طالب برسول الله ﷺ ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم (٣) ، فقال عبد المطلب - فيما يزعمون - فيما يوصيه به ، واسم أبى طالب عبد مناف

(١) أى زمن المؤلف ابن إسحاق

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى قبل موضوع وفاة عبد المطـلب وذلك لترتيب الأحداث ·

(٣) أى أخوين شقيقين ·

السيرة النبوية